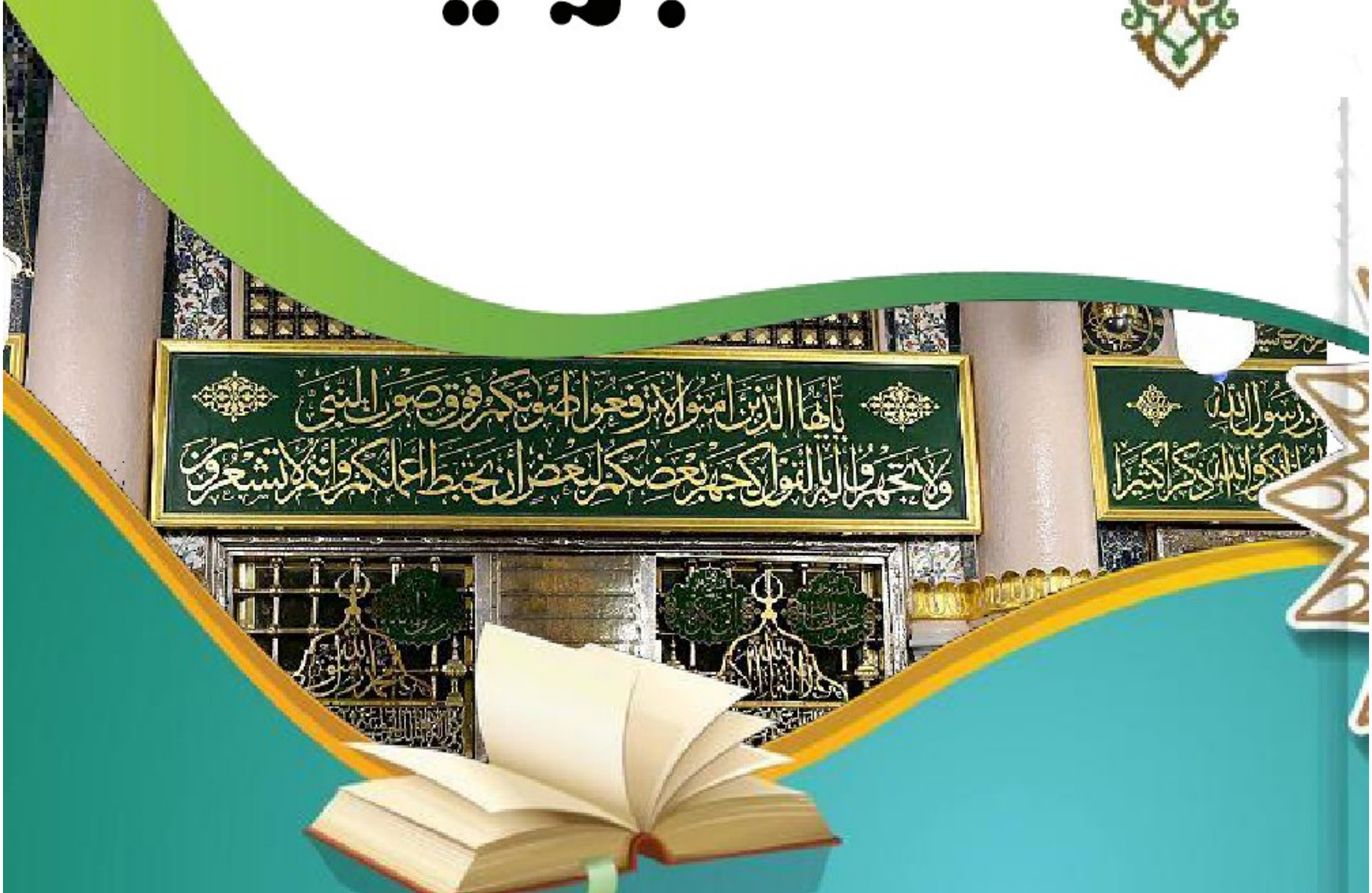
أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه

الأربعون النبوية



جمع وشرح وتخرج : دكتور سعد جبر
عميد كلية الإعلام بجامعة باشن
من علماء الأزهر الشريف

مقدمة

(بقلم الشيخ السيد مراد سلامة)

رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن نفسه

الحمد لله الذي أعطى الأمان لمن شكر سبحانه، سبحانه رب عظيم قد علا فوق الخلائق واقتدر سبحانه، سبحانه عنت الوجوه لجاهه واستسلمت، فطر الحياة لأمره لما أمر، فأتم فيض نعيمه للمؤمنين العاملين لدينهم جنات عدن عزها نور الجلال، أفاءه أمر الذي في كل أمر قد أمر، وأضاف من مدد الخلود ما غاب عن وعي المسامع والبصر، من كل فيض ناعم يسمو على كل الفكر، ويفوق كل تصوُّر عرفته أذهان البشر.

وأشهد أن لا إله إلا الله واحد أحد، فرد صمد، لا شريك له في مُلْكه، ولا سند سبحانه، سبحانه جعل الحياة مطية مطواعة للمؤمنين المحسنين؛ لأنهم قد وحَّدوا الله العظيم المقتدر، ومشوا على درب الهدى لما بدا في المبتدى نور الذي أحيا الفطر، وأشهد أنَّ محمدًا شمس الحقائق وضياها، ولفظ الرسالة ومعناها، ومرآة العلوم ومجلاها، ضيف السماوات وإمام مصلاها، اصطفاه الله من بحر لا يخاف قدره، ومن شجر لا يخلف ثمره، فغسل به من الكفر وجوهًا مسودة، وألان به للتقى قلوبًا مشتدة، وجعله للدين ظَهِيرًا وظَهرًا، وللحق ظهيرة وظُهرًا، فكف به كف الظلم، ورفع به لواء السلم، وزيَّن به سماء العلم، وجعله لمن في السماء إمامًا، ولمن في الأرض سلامًا، ولدنيا بشيرًا نذيرًا، أما بعد:

حديثنا مع خير من دبَّ على الثرى، مع حبيب القلوب، مع حبيب علَّام الغيوب، مع النبي المحبوب صلى الله عليه وسلم وهو يُحدِّثنا عن نفسه، فهيا لنُشنِّف الآذان بحديث النبي العدنان صلى الله عليه وسلم، فهو أعرفُ الخلق بنفسه وبمكانته عند ربه.

أنا رسول الله وآدم -عليه السلام-منجدل في طينته:

عن عرباض بن سارية رضي الله عنه، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «إني عبد الله، وخاتم النبيين، وأبي منجدل في طينته، وسأخبركم عن ذلك، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي آمنة التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين»، وأن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته له نورًا، أضاءت لها قصور الشام، ثم تلا ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ [الأحزاب: 45]؛ «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»[1].

وقد رواه ابن شاهين في (دلائل النبوة) من حديث أبي هريرة قال: سُـئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: متى وجبت لك النبوَّة؟ قال: «بين خلق آدم ونفخ الروح فيه»، وفي رواية: «وآدم منجدل في طينته»[2].

يا مصطفى من قبل نشأة آدم
قد كنت نورًا زانه الإشراقُ
وفتحت ختم الفيض من كنز العما
والكون لم تفتح له أغلاق
أيروم مخلوقٌ ثناءك بعدما
كنت الثناء وشأنك الإطلاق
وظهرت من حمد الوجود بمظهرٍ
أثنى على أخلاقك الخلّاق

أنا دعوة إبراهيم وبشارة عيسى عليه السلام:

فها هو خليل الرحمن وابنه إسماعيل -عليهم الصلاة والسلام- بعـدما فرغا من بنـاء الـبيت يتوجه خليل الـرحمن إلى الله تعـالى بتلك الـدعوة الـتي يسـأل الله فيها أن يرسل إليهم نبيًّا، فيقـول: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُـولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُـزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: 129]، وقال ابن كثـير عند هـذه الآية: والمـراد بـذلك محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وقد بعث فيهم كما قال تعالى: ﴿ هُـوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُـولًا مِنْهُمْ ﴾ [الجمعة: 2]، ومع هـذا لا ينفي رسـالته

إلى الأحمر والأسود؛ لقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: 158][3].

عن عرباض بن سارية رضي الله عنه، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «وسأخبركم عن ذلك، أنا دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى، ورؤيا أمي آمنة التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يرين»، وأن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته له نورًا أضاءت لها قصور الشام، ثم تلا ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الأحزاب: 45، 46]؛ «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»[4].

أنا خيار من خيار من خيار:

وها هو النبي المختار صلى الله عليه وسلم يخبرنا أن الله تعالى اختاره وانتقاه، فهو من خيار الأمم ومن خيار البشر، فهو خير مخلوق خلقه الله تعالى؛ عن أبي هريرة أن رسولَ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- قالَ: «بُعِثْتُ مِن خيرِ قرونِ بني آدَمَ قرنًا فقَرْنًا، حتى كنتُ مِن القَرْنِ الذي كنتُ فيه» [5].

عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» [6].

تقلب في الأصلاب نورًا مقدسًا
ففاح له عطر يبوح به الظهر
فمن آدم قد سار في موج أعصر
إلى عصر عبدالله يزهو به الدهر
محمد المختار أشرق

عهده

إلى النور يهدينا وطلعته البدر

أ.هـ

[1] المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 453)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ».

[2] أخرجه الحاكم (2 /665، رقم 4210)، والخطيب (3/70) (صحيح سلسلة الأحاديث الصحيحة 18 / 56، المشكاة 5758).

[3] تفسير ابن كثير، ط أولاد الشيخ (2/ 94).

[4] المستدرك على الصحيحين للحاكم (2/ 453)، وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ».

[5] أخرجه البخاري (3/1305، رقم 3364)، وابن سعد (1 /24)، والبيهقي في شعب الإيمان (2 /139 ، رقم 1392)، وأخرجه أيضًا: أحمد (2/373 ، رقم 8844).

....

وفي هذا الكتاب نكمل هذا الحديث الخاص من صاحب الرسالة عن نفسه يقدم نفسه للناس ويعرف بفضائله وصفاته وأخلاقه صلى الله عليه وسلم

المؤلف

الأربعون النبوية

أربعون حديثًا نبوياً يتحدث فيها النبي صلى الله عليه وسلم عن نفسه

الحديث الأول

أولًا: نص الحديث

"إنَّ لي أسماءً: أنا محمدُ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحشَرُ الناسُ على قَدَمي، وأنا العاقبُ، والعاقبُ الذي ليس بعده نبيٌّ"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البخاري في صحيحه، قال:

3532 - حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ المُنْذِرِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْنٌ، عَنْ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وأنا الماحي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الكُفْرَ، وَأَنَا الحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا العَاقِبُ"

وأخرجه مسلم في صحيحه، قال:

(2354) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ - وَاللَّفْظُ لِزُهَيْرٍ قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا - سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، سَمِعَ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وأنا أَحْمَدُ، وَأَنَا الماحي، الَّذِي يُمْحَى بِيَ الْكُفْرُ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقِبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

تعدَّدَتِ صِفاتُ النَّبيِّ ‘ وأسْماؤه الَّتي يُعرَفُ بها في الأُممِ السَّابِقةِ وفي أُمَّتِه، وهي أسْماءٌ سمَّاهُ اللهُ سُبحانَه بها، ولها دَلالاتٌ.

وفي هذا الحَديثِ أخبَرَ ‘ أنَّ له خَمسةَ أسْماءٍ؛ فهو «محمَّدٌ»، وهو اسمٌ عَلَمٌ عليه، وهو صِفةٌ مَعْناها: المَوصوفُ بالمَحامِدِ الكَثيرةِ العَظيمةِ، المَحمودُ مِن اللهِ ¸ مرَّةً بعْدَ أُخْرى.

وهو «أحمَدُ»، وهو علَمٌ مَنقولٌ مِن صِفةِ أفضَلِ التَّفْضيلِ المُنبِئةِ عن الانتِهاءِ إلى غايةٍ لَيس وَراءَها مُنتَهًى، فهو ‘ أحمَدُ الحامِدينَ للهِ تعالَى؛ لمَا في الصَّحيحَينِ: أنَّه يُفتَحُ عليه في المَقامِ المَحمودِ بمَحامِدَ لم يُفتَحْ بها على أحدٍ قبْلَه، هذا على أنَّه بمَعْنى الفاعلِ،

وقيـلَ: «أحمَـدُ» بمَعـنى المَفعـولِ، أي: أنَّه ‘ أحـقُّ النَّاسِ بالثَّنـاءِ والحَمدِ.

وهو «الماحي»، أي: الَّذي يَمْحو اللـهُ تعـالَى بـه الكُفـرَ، والمُـرادُ: مَحوُ الكُفـرِ من مكَّةَ والمَدينـةِ وسـائرِ بِلادِ العَـرَبِ، ومـا زُويَ له ‘ مِن الأرضِ، ووُعِدَ أنْ يَبلُغَه مُلكُ أُمَّتِه، ويَحتمِلُ أنَّ المُـرادَ: المَحـوُ العامُّ، بمَعنى الظُّهورِ بالحُجَّةِ والغَلَبةِ، كما قـال تعـالَى: {لِيُظْهِـرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} [التوبة: 33]، أو هو الَّذي مُحِيَت بـه سـيِّئاتُ مَنِ اتَّبعَه؛ فقدْ يكونُ المُرادُ بمَحـوِ الكُفـرِ هـذا؛ لأنَّ الإسْلامَ يَهـدِمُ مـا كان قبْلَه.

وهـو «الحاشِـرُ الَّذي يُحشَـرُ النَّاسُ على عَقِبِـه»، أي: على أثَـرِه وبعْـدَه؛ لأنَّه ‘ يُحشَـرُ قبْـلَ النَّاسِ، وقيـلَ: المُـرادُ أنَّه يُحشَـرُ أوَّلَ النَّاسِ يومَ القيامةِ.

وهو «العاقِبُ»؛ لأنَّه ‘ جاء عَقِبَ الأنْبياءِ، فكان خاتَمَهم.

وأسْماؤُه ‘ كما سمَّاه اللهُ تعـالَى: أعْلامٌ دالَّةٌ على أوْصـافِ مَـدْحٍ؛ فمُحمَّدٌ صفةٌ في حقِّه، وإنْ كان علَمًا مَحضًا في حقِّ غَيرِه.

ولا يُفيدُ الحديثُ أنَّ أسْماءَه تَنحصِرُ في خَمسةِ أسْماءٍ فقطْ؛ فإنَّ له أسْماءً غيرَها، وإنَّما المُرادُ بقولِه: «لِي خَمسةُ أسْماءٍ» أنَّ هذه الخَمسةَ هي أسْماؤُه المَشهورةُ في الأُممِ الماضيةِ المَذْكورةِ في الكُتبِ السَّابِقةِ.

وقدْ دلَّ بعضُ هذه الأسْماءِ على أنَّ دِينَ الإسْلامِ هو الدِّينُ الغالِبُ المُهَيمِنُ على جَميعِ الأدْيانِ، النَّاسخُ لشَرائعِها بشَرائعِه، ولأحْكامِها بأحْكامِه، وأنَّه الدِّينُ الخالِدُ الباقي إلى يومِ القيامةِ.

رابعًا: توجيهات الحديث

١-في الحديث: التعريفُ ببعض أسماء رسول الله ‘، وكلها أسـماء جمال وجلال ومدح وتعظيم.

٢-وفيه أن النبي % خاتمُ النبيين والمرسلين، فليس بعده نبي.

٣-وفيه أنه ‘ يُحشَرُ الناسُ على قدمـه، فهـو أول من ينشـق عنـه القبر من الناس أجمعين.

الحديث الثاني

أولاً: نص الحديث

"لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ ووالدِهِ والناسِ أجمعينَ"

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه مسلم في صحيحه، قال:

(44) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ، يُحَدِّثُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا يؤمن أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أحب إليه من ولده وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ"

ورواه النسائي في سننه، قال:

5013 - أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ مَسْعَدَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا بِشْرٌ يَعْنِي ابْنَ الْمُفَضَّلِ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يؤمن أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أحب إليه من ولده، وَوَالِدِهِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

قال الشيخ السقاف: مَحبَّةُ النبيِّ مِن أُصولِ الإيمانِ، وهي مَقرونةٌ بمَحبَّةِ اللهِ، وتَوعَّد اللهُ مَن قدَّم عليها شيئًا مِن الأمورِ المحبوبةِ في الطَّبْعِ؛ مِن الأقاربِ والأموالِ، والأوطانِ وغيرِ ذلك، فقال تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} [التوبة: 24]. ولا يكونُ المؤمنُ مُؤمنًا كاملاً حتَّى يُقدِّمَ مَحبَّةَ الرَّسولِ على مَحبَّةِ جَميعِ الخَلْقِ، ومَحبَّةُ الرَّسولِ تابعةٌ لمحبَّةِ مُرسِلِه، والمحبَّةُ الصَّحيحةُ تَقتضي المتابَعةَ والموافَقةَ في حبِّ المَحبوباتِ وبُغضِ المكروهاتِ؛ فالمحبَّةُ هي المُوافَقةُ في جميعِ الأحوالِ، فإذا كان هذا الحبُّ صادقًا فإنَّه لا بدَّ

أنْ يَحمِلَ صاحبَه على مُتابَعةِ النبيِّ والعَملِ بسُنَّتِه؛ فعَلامةُ مَحبَّةِ الرَّسولِ أنَّه عندَ تعارُضِ طاعةِ الرَّسولِ في أوامِرِه، مع داعٍ آخَرَ يَدْعو إلى غَيرِها مِن هذه الأشياءِ المحبوبةِ، فإنْ قدَّم المرْءُ طاعةَ الرَّسولِ وامتثالَ أوامرِه على ذلك الداعي؛ كان ذلك دَليلاً على صِحَّةِ مَحبَّتِه للرَّسولِ وإنْ قدَّم على طاعتِه وامتثالِ أوامرِه شيئًا مِن هذه الأشياء المحبوبةِ طَبْعًا، دلَّ ذلك على عدَمِ إتيانِه بالإيمانِ التَّامِّ الواجبِ عليه. ومِن مَحبَّتِه نَصرُ سُنَّتِه، والذَّبُّ عن شَريعتِه، وتَمنِّي حُضورِ حَياتِه فيَبذُلَ مالَه ونفْسَه دونَه. ولا تصِحُّ هذه المحبَّةُ إلاَّ بتَحقيقِ إعلاءِ قدْرِ النبيِّ ومَنزلتِه على كلِّ والدٍ وولَدٍ، ومُحسِنٍ ومفضل، وهذا الحديثُ مِن جَوامعِ الكَلِمِ؛ لأنَّ هذه الألْفاظَ اليَسيرةَ جمَعَتْ مَعانيَ كَثيرةً؛ لأنَّ أقسامَ المحبَّةِ ثلاثةٌ: مَحبَّةُ إجلالٍ وعَظَمةٍ، كمَحبَّةِ الوالدِ، ومَحبَّةُ شَفقةٍ ورَحمةٍ، كمَحبَّةِ الولَدِ، ومَحبَّةُ استحسانٍ ومُشاكَلةٍ، كمَحبَّةِ سائرِ الناسِ، فحَصَرَ أصنافَ المحبَّةِ.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديث بيانُ حق النبي على الخلق، وما ينبغي لهم من توقيره وتعظيمه وتمجيده، فقد جعل محبتَه فوق محبة الولد والوالد بل والناس أجمعين، جعل هذا شرطًا في كمال الإيمان الواجب.

٢- وفيه توجيهٌ إلى ضرورة معرفة خصائص الرسول الكريم وفضائله ومناقبه وحقوقه، حتى يتأتى منك حينئذ أن تحبه المحبةَ الواجبةَ.

الحديث الثالث

أولًا: نص الحديث

"فاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فمَن أغْضَبَها أغْضَبَنِي"

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه البخاري في صحيحه، قال:

3729 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنٍ، أَنَّ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، قَالَ: إِنَّ عَلِيًّا

خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ فَسَمِعَتْ بِذَلِكَ فاطمة فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَزْعُمُ قَوْمُكَ أَنَّكَ لاَ تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهَذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ، يَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ أَنْكَحْتُ أَبَا العَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ، فَحَدَّثَنِي وَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بضـــعة مِنِّي وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا، وَاللَّهِ لاَ تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ، عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ» فَتَرَكَ عَلِيٌّ الخِطْبَةَ.

ثالثًا: شرح معاني الحديث

كان أبو جَهلٍ عَمرُو بنُ هِشامٍ عدُوًّا للهِ وعدُوًّا لرَسولِهِ صلَّى اللـــهُ عليه سلَّمَ، وكان مِن أشَدِّ النَّاسِ إيذاءً للنَّبيِّ ‘ في مكَّةَ.

وفي هـذا الحَـديثِ يَـرْوي المِسْـوَرُ بنُ مَخْرَمـةَ ƒ أنَّ عَلِيَّ بنَ أبي طــالبٍ ¢ خَطَب بِنتَ أبي جَهــلٍ، وأرادَ أنْ يَنكِحَهــا على زَوجتِــه فاطمةَ بنتِ النَّبيِّ ‘، فجاءتْ فاطمـةُ إلى رَسـولِ اللــهِ ‘، فقـالت: «يَزعُمُ قومُكَ» -وفي رِوايةِ مُسلِمٍ: «إنَّ قَومَكَ يَتحَدَّثونَ» وكأنَّهم تَكلَّمــوا فيمــا بيْنَهم عن خِطْبــةِ عَلِيٍّ ¢ لبنتِ أبي جَهــلٍ- «أنَّكَ لا تَغضَــبُ لبَناتِـكَ»، أي: إذا حـدَثَ لهنَّ إيــذاءٌ، وهـذا عَلِيٌّ يُريـدُ أنْ يَتزوَّجَ بنتَ أبي جَهلٍ، فغَضِـب رَسـولُ اللـهِ ‘، ثمَّ قـام يَخطُبُ في النَّاسِ ليَنتَشِرَ الحُكمُ بيْنَهم، فتَشهَّدَ ثمَّ قال: «أمَّا بعْدُ؛ أنكَحْتُ أبـا العـاصِ بنَ الرَّبيـعِ»، أي: ابنَتَـه زَينبَ، وكـان ذلـك قبْـلَ الإسْـلامِ، «فحَدَّثَني وصَدَقَني»، فأثْنَى عليه النَّبيُّ ‘ لصِدْقِه.

وفي رِوايــةِ مُسـلِمٍ: «إنَّ بَـني هِشـامِ بنِ المُغـيرةِ اسْـتَأذَنوني أنْ يُنكِحوا ابنَتَهم عَلِيَّ بنَ أبي طالبٍ، فلا آذَنُ لهم، ثمَّ لا آذَنُ لهم، ثمَّ لا آذَنُ لهم، إلَّا أنْ يُحِبَّ ابنُ أبي طـــالبٍ أنْ يُطلِّقَ ابْنَــتي، ويَنكِحَ ابنَتَهم»، فاشــتَرَطَ طَلاقَ فاطمــةَ إنْ رغِبَ عَليٌّ في الــزَّواجِ من ابنةِ أبي جَهلٍ، ثمَّ قال ‘: «وإنَّ فاطِمــةَ بَضْـعةٌ مِنِّي»، أي قِطْعـةٌ، «وإنِّي أكرَهُ أنْ يَسوءَها»، أي: يَنالَها أيُّ أذًى مِن عَليٍّ بزَواجِه مِن ابنــةِ أبي جَهــلٍ؛ فقــدْ يَحصُــلُ لهــا الغَيْــرةُ فيُؤْذيهــا ذلــك، وفي الصَّحيحَينِ: «وإنِّي لستُ أُحرِّمُ حَلالًا، ولا أُحِلُّ حَرامًا» إشــارةً إلى جَـوازِ نِكـاحِ بنتِ أبي جَهـلٍ، لكنَّهُ منَعَ مِن الجَمـعِ بيْنَهـا وبيْنَ بنتِ رَسولِ اللهِ؛ لأنَّ ذلك يُؤْذيهــا، وفي أذاهــا أذًى لرَسـولِ اللــهِ ‘، ولا

يَحِلُّ فِعلُ شَيءٍ يَتأذَّى به ‘ ولو كان مُباحًا فِعلُه، ثمَّ قال ‘: «لا تَجتَمِعُ بِنتُ رَسولِ اللهِ وبِنتُ عدُوِّ اللهِ عندَ رَجلٍ واحدٍ»؛ لِمَا يُحدِثُ مِنَ الأذى والضَّررِ، «فترَكَ عَليٌّ الخِطْبةَ»، فلَمْ يُقدِمْ على إتْمامِ خِطْبةِ ابنةِ أبي جَهلٍ بعْدَما سَمِعَ ذلك.

وفي رِوايةٍ لم يُصرِّحِ الرَّاوي باسمِ أبي العاصِ، فقال: «وذكَرَ صِهْرًا له مِن بَني عَبدِ شَمسٍ»، وهو أبو العاصِ بنُ الرَّبيعِ، والصِّهْرُ: يُطلَقُ على الزَّوجِ، وأقارِبِه، وأقاربِ المَرأةِ، «فأثْنى عليه في مُصاهَرتِه إيَّاهُ، فأحسَنَ» الثَّناءَ عليه؛ وذلك لأنَّهُ حدَّثَه فصدَقَ في حَديثِه، وكَلامِه، وشُروطِه في زَواجِه بزَينبَ، ووَعَدَ النَّبيَّ ‘ بأنْ يُرسِلَ زَينبَ، وذلك عندَما أُسِرَ في غَزْوةِ بَدرٍ، فأنفَذَ وَعدَه، وأرسَلَ زَينبَ مِن مكَّةَ إلى المَدينةِ، وقدْ أُسِرَ أبو العاص مرَّةً أُخْرى في غَزْوةِ أُحدٍ وأجارَتْه زَينبُ، فأسلَمَ ورَدَّها إليه النَّبيُّ ‘ إلى نِكاحِه، وولَدَت له أُمامةَ الَّتي كان يَحمِلُها النَّبيُّ ‘ وهو يُصلِّي.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَديثِ: محبةُ الرسول ‘ لابنته فاطمة ~، وأنها بضعة منه وجزء منه.

٢- وفيه أنَّ أذَى أهلِ بَيتِه ‘ أذًى له.

٣- وفيه: فَضلُ عَليٍّ ¢، واستِجابتُه لرَسولِ اللهِ ‘.

٤- وفيه: مَشْروعيَّةُ غَيْرةِ الرَّجلِ، وجَوازُ غَضَبِه لقَرابَتِه وحُرْمتِه، وذَبِّه عمَّا يُؤْذيهم بما يَقدِرُ عليه.

٥- وفيه: أنَّ الشَّيءَ وإنْ لم يكُنْ مُحرَّمًا في نفْسِه، ولكنْ يُخْشى أنْ يَكونَ ذَريعةً إلى ما لا يَجوزُ، فيَنبَغي اجْتِنابُه، وتَرْكُ الوُقوعِ فيه، ومَنْعُه.

الحديث الرابع

أولًا: نص الحديث

"أنا سَيِّدُ ولَدِ آدَمَ يَومَ القِيامَةِ، وأَوَّلُ مَن يَنْشَقُّ عنْه القَبْرُ، وأَوَّلُ شافِعٍ وأَوَّلُ مُشَفَّعٍ"

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه مسلم في صحيحه، قال:

(2278) حَدَّثَنِي الْحَكَمُ بْنُ مُوسَى أَبُو صَالِحٍ، حَدَّثَنَا هِقْلٌ يَعْنِي ابْنَ زِيَادٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، حَدَّثَنِي أَبُو عَمَّارٍ، حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ فَرُّوخَ، حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سيد ولد آدم يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»

ورواه ابن ماجة في سننه، قال:

4308 - حَدَّثَنَا مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى، وَأَبُو إِسْحَاقَ الْهَرَوِيُّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَاتِمٍ، قَالاَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ قَالَ: أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سيد ولد آدم، وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، وَلاَ فَخْرَ، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلاَ فَخْرَ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

التَّفاضُل بيْن الأنبياءِ أو تَفضيلُ بعضِهم على بعضٍ أمرٌ خاصٌّ باللــه سُبحانه، وهو وَحْدَه مَن يَملِكُ هذا الأمرَ، وليْس لِبشَــرٍ أنْ يُفاضِـلَ بيْن هؤلاء الأنبياءِ إلَّا بما فضَّـلَ اللـهُ بــه بعضَـهم على بعضٍ، وبمـا أخبَرَ به النَّبيُّ ‘.

وفي هذا الحديثِ يُبيِّنُ النَّبيُّ ‘ أنَّه سيِّدُ وَلدِ آدمَ يَومَ القيامةِ، وفي حَديثِ التِّرمذيِّ أنَّه قال بعْدَ ذلكَ: «ولا فَخْرَ»، وهذا مِن بـابِ ذِكـرِ كَرامةِ النَّبيِّ محمَّدٍ ‘ على ربِّه بلا فَخْـرٍ منـه ولا تَكبُّرٍ، بـلْ هـو في أعْلى دَرَجاتِ التَّواضُعِ. والسَّيِّدُ: هُو الَّذي يَفـوقُ قَومَـه في الخـيرِ. وقيل: هوَ الَّذي يُفزَعُ إليه في النَّوائبِ والشَّدائدِ، فيَقومُ بأمورِهم، ويَتحمَّلُ مَكارِهَهم ويَدفعُها عَنهم، والتَّقييـدُ بيَـومِ القيامَـةِ مَـع أنَّه ‘ سـيِّدُهم في الـدُّنيا؛ لأنَّه ربَّمـا نازَعَـه في السِّـيادةِ مُلـوكُ الكُفَّارِ وزُعماءُ المشركينَ، وأمَّا الآخرَةُ فإنَّه يَظْهَرُ يومَ القيامةِ سُؤدُدُه بِلا مُنازِعٍ ولا مُعاندٍ؛ وذلك لِما لـه مِن مَقـامِ الشَّـفاعةِ العُظمى الَّتي يَتقدَّمُ بها على سائرِ الأنبياءِ، كما ثَبَت في رِوايةِ الصَّحيحين.

وهذا القولُ منه ‘ لا يَتنافى مع الحديثِ الَّذي أخْرَجَه أبــو داودَ: أنَّ وَفْدَ بني عـامرٍ لمَّا قـالوا له ‘: «أنتَ سـيِّدُنا»، فأجـابَهُم: «السَّـيِّدُ اللهُ»، فمَعناه: الَّذي له السِّيادةُ على الحقيقَةِ هو اللهُ ۵، وقدْ قال لهم النَّبيُّ ‘ ذلك لأنَّهم كانوا في هذا الوقتِ حَـديثِي عَهـدٍ بجاهليَّةٍ، وربَّما قَصَدوا بالسِّيادةِ للنَّبيِّ ‘ بَعضَ المعاني المشـترَكةِ في حَـقِّ اللهِ تعالَى؛ فرَدَّها النَّبيُّ ‘ للهِ ۵.

وأخبَرَ ‘ أنَّه أوَّلُ مَن يَنشَقُّ عنـه القَـبرُ، فيكـونُ أَوَّلَ مَن يُبعَثُ مِن قَبرِه ويَحضُرُ في المحشَرِ، وقدْ أخـرَجَ البخـاريُّ ومُسـلمٌ مـا يـدُلُّ على أنَّ سيِّدَنا مُوسى ’ قـدْ يكـونُ أفـاقَ قبْـلَ النَّبيِّ ‘، وذلـك في قَــولِ النَّبيِّ ‘: «النَّاسُ يَصْـعَقون يـوْمَ القيامــةِ، فــأكونُ أوَّلَ مَن يُفِيقُ، فإذا أنا بمُوسى آخِـذٌ بقائمـةٍ مِن قَـوائمِ العـرشِ، فلا أدْري أفـاقَ قَبْلي أمْ جُـوزِيَ بصَـعقةِ الطُّورِ»، فيَكـونُ ذِلـك لَـه فَضـيلةً ظاهِرةً، أو كانَ ممَّن استَثْنى اللهُ في قولِـه تعـالَى: {فَصَعِقَ مَنْ

فِي السَّـمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَـاءَ اللَّهُ} [الزمـر: 68]، فلَم يَصعَقْ؛ فهي فَضيلة أيضًا.

وقدْ أخبَرَ ' أيضًا أنَّه أَوَّلُ شافعٍ في ذلكَ المحضَرِ أمامَ اللهِ ´ يـوْمَ القيامـةِ، وذَكَر ' أيضـًا أنَّه «أوَّلُ مُشـفَّعٍ»؛ لأنَّه قـدْ يَشـفَعُ اثنـانِ، فيُشفَّعُ الثَّاني منهما قبْلَ الأوَّلِ، أي: لا يَشفَعُ ولا يُـؤذَنُ بالشَّـفاعةِ لِأحدٍ قبْلَه ولا معه، ولا يقومُ بالشَّفاعةِ قبْلَه ولا معه أحدٌ.

رابعًا: توجيهات الحديث

١-في الحديث بيان فضـائل الرسـول الكـريم ' ومناقبـه العظيمـة الجليلة، التي لا يحصيها إلا من أكرمه وأرسله.

٢-وفي الحديثِ: التَّحدُّثُ بنِعمةِ اللهِ على الإنسانِ بلا تَكبُّرٍ.

٣-وفيـه: بَيـانُ أنَّه يَنْبغي على الأُمَّةِ أنْ يَعرِفـوا عُلـوَّ قـدْرِ النَّبيِّ ' ويَعتقِدوه، ويَعمَلوا بمُقتضاهُ، ويُوقِّروه ' بما تَقْتَضـي مَرتبتُـه، كمـا أمَرَهم اللهُ تعالَى.

٤-وفيه: دَليلٌ على تَفضيلِه ' على الخَلقِ كلِّهم.

الحديث الخامس

أولًا: نص الحديث

"مـا بـالُ أقـوامٍ يتـنزهون عن أشـياءَ أتـرخصُ فيهـا، واللـهِ إني لأخشاكم للهِ وأعلمُكم بحدودِه"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البخاري في صحيحه، قال:

6101 - حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا مُسْلِمٌ، عَنْ مَسْرُوقٍ: قَالَتْ عَائِشَةُ: صَنَعَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فَرَخَّصَ فِيهِ، فَتَنَزَّهَ عَنْهُ قَوْمٌ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَخَطَبَ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فوالله إِنِّي لأَعْلَمُهُمْ بالله، وأشدهم له خشية»

وأخرجه مسلم في صحيحه، قال:

(2356) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي الضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: صَنَعَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرًا فَتَرَخَّصَ فِيهِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ، فَكَأَنَّهُمْ كَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فَبَلَغَهُ ذَلِكَ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: «مَا بَالُ رِجَالٍ بَلَغَهُمْ عَنِّي أَمْرٌ تَرَخَّصْتُ فِيهِ، فَكَرِهُوهُ وَتَنَزَّهُوا عَنْهُ، فوالله لَأَنَا أَعْلَمُهُمْ بالله، وأشدهم له خشية»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

تحريمُ ما أحَلَّ اللهُ لا يَقِلُّ في الجُرمِ والإثمِ عن تحليلِ ما حَرَّمَ اللهُ؛ فالمسلِمُ عبدٌ لله يَعبُدُه بما شرَع سُبحانَه، لا بما يَشْرَعُه العبدُ لنَفْسِه، حتى وإن حَسُنَت نِيَّتُه في ذلك، فمدارُ العبوديَّةِ على الاتِّباعِ والانقيادِ لأمرِ اللهِ ورَسولِه.

وفي هذا الحَديثِ تُخبرُ أمُّ المؤمنين عائِشةُ ~ أنَّ النَّبيَّ ' قام بعَمَلِ شَيءٍ مِن المباحاتِ، ولم يُذكَرْ هذا الشَّيءُ، ورخَّص ' في هذا الشَّيءِ، بمعنى: سَهَّل ويسَّر فيه من غيرِ مَنعٍ، وفِعْلُه ' لهذا الشيءِ يدُلُّ على إباحتِه، غيرَ أنَّ قومًا من الصَّحابةِ الكرامِ تَباعَدوا واحْتَرَزُوا عنه صِيانةً لدِينهم في ظنِّهم، فبَلَغ ذلك النَّبيَّ '، فخَطَب النَّاسَ لِتَعُمَّ الفائدةُ، «فحَمِد اللهَ تعالَى، ثُمَّ قال: ما بَالُ أقوامٍ»، أي: ما حالُهم؟ ولم يُسمِّهم سَترًا عليهم وتأليفًا لهم، «يَتنَزَّهون عن الشَّيءِ أصنَعُه؟!» فإنْ كان هذا منْهم لأمرٍ شَرعيٍّ «فواللهِ إنِّي لَأعلَمُهم باللهِ»؛ لأنَّه ' هو رسولُه والمخبِرُ عنه، «وأشَدُّهم له»، أي: أكثرُهم للهِ «خَشْيَةً»، والخَشيةُ: هي الخَوفُ مع العِلم، فلمْ يَبْقَ لهم عُذرٌ في تَرْكِ ما صَنَع نَبيُّ اللهِ '.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَديثِ: رِفقُ النَّبيِّ ' بأُمَّتِه، وعدَمُ مُواجهتِه بالعِتابِ لِمَن يُعاتِبُه.

٢- وفيه: خُطورةُ التَّنقُّصِ مِمَّا ثَبَت عن النَّبيِّ ‘ فِعلًا وترْكًا.

٣- وفيه: أنَّ العِلمَ باللهِ والخَشيةَ منه هي ما يُجنِّبُ المُسلِمَ الزَّلَلَ والضَّلالَ.

٤- وفيه أن رسول الله ‘ هو أعلم الخلق بالله وأشدهم له خشية.

الحديث السادس

أولًا: نص الحديث

"حسين منِّي، وأنا منه، أحبَّ اللهُ مَن أحبَّ حُسينًا، الحسَنُ والحسينُ مِن الأسباطِ"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه ابن ماجة في سننه، قال:

144 - حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ حُمَيْدِ بْنِ كَاسِبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي رَاشِدٍ، أَنَّ يَعْلَى بْنَ مُرَّةَ، حَدَّثَهُمْ أَنَّهُمْ خَرَجُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى طَعَامٍ دُعُوا لَهُ، فَإِذَا حسين يَلْعَبُ فِي السِّكَّةِ، قَالَ: فَتَقَدَّمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَامَ الْقَوْمِ، وَبَسَطَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ الْغُلَامُ يَفِرُّ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، وَيُضَاحِكُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَخَذَهُ، فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ تَحْتَ ذَقْنِهِ، وَالْأُخْرَى فِي فَأْسِ رَأْسِهِ فَقَبَّلَهُ وَقَالَ: «حسين مني، وَأَنَا مِنْ حسين، أَحَبَّ اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ حسينًا، حُسَيْنٌ سِبْطٌ مِنَ الْأَسْبَاطِ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

قال الشيخ السقاف:

مِن حُبِّ النَّبيِّ حُبُّ آلِ بيتِه المؤمنينَ جميعًا في غيرِ مُغالاةٍ.

وفي هذا الحديثِ يُخْبِرُ يَعْلى بنُ مُرَّةَ: "أنَّهم خرَجُوا مع النَّبيِّ إلى طعامٍ دُعُوا له"، أي: كان خُروجُهم تلبيةً لدَعوةٍ على طعامٍ، "فإذا حُسينٌ"، وهو ابنُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وهو حَفيدُ النَّبيِّ من ابنتِه فاطمةَ، "يلعَبُ في السِّكَّةِ"، أي: في الطَّريقِ، "فتقدَّمَ النَّبيُّ أمامَ القومِ، وبسَطَ يَدَيْه"، أي: فتَحَ ذِراعيْه للحُسينِ لمُداعبَتِه، كأنَّه

يُريدُ أنْ يَحتضِنَه، وهذا مِن حُسْنِ خُلُقِه ومُلاطفتِه لحَفيدِه، "فجعَلَ الغُلامُ يَفِرُّ هاهنا وهاهنا"، أي: مُلاعِبًا النَّبيَّ وسُرورًا بفعلِه يَجْري منه في جَنباتِ الطَّريقِ، ويَحْتَمِلُ: أنَّه يهْربُ منه بهذا كَعادةِ الصِّغارِ إذا أراد أحدٌ أنْ يأخُذَهم، "ويُضاحِكُه النَّبيُّ حتَّى أخَذَه"، أي: أمسَكَ الحُسينَ، "فجعَلَ إحدى يَدَيْه تحت ذَقْنِه"، أي: أمسَكَ النَّبيُّ بيَدِهِ ذَقْنَ الحُسينِ، "والأُخرى في فأْسِ رأْسِه"، أي: ويَدُهُ الأُخرى جعَلَها خلفَ رأسِ الحُسينِ من الأسفلِ، وفأْسُ الرَّأسِ: هو طرَفُ الرَّأسِ من الخَلْفِ، "فقبَّلَه، وقال: حُسينٌ مِنِّي، وأنا مِن حُسينٍ"، أي: بيننا مِن الاتحادِ والاتِّصالِ والرَّحمِ ما يصِحُّ أنْ يُقالَ معه بأنَّ كلاًّ منهما من الآخَرِ، وهذا يُبيِّنُ أنَّهما كالشَّيءِ الواحدِ في وُجوبِ المحبَّةِ وحُرمةِ التَّعرُّضِ والمُحاربةِ.

ثُمَّ أكَّدَ النَّبيُّ هذه المعانيَ من الحُرمةِ ووُجوبِ المحبَّةِ بقولِه: "أحَبَّ اللهُ مَن أحبَّ حُسينًا"، أي: فإنَّ محبَّتَه مَحبَّةٌ للرَّسولِ، ومَحبَّةَ الرَّسولِ مَحبَّةٌ للهِ، "حُسينٌ سِبْطٌ من الأسباطِ" يقصِدُ: أنَّه مِن الأولادِ أو مِن أولادِ الأولادِ، أو أولادِ البناتِ، ويُقال للقَبيلةِ: سِبطٌ، قال تعالى: {وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا} [الأعراف: 160]، أي: قبائلَ، ويَحْتَمِلُ أنْ يكونَ المُرادُ هاهنا: أنَّه يتشعَّبُ منه قَبيلةٌ، ويكونُ مِن نَسلِه خَلْقٌ كثيرٌ؛ فيكونُ إشارةً إلى أنَّ نَسْلَه يكونُ أكثَرَ وأبْقى، وأخرَجَ ابنُ ماجَه أيضًا من حَديثِ أبي هُرَيرَةَ: أنَّ رسولَ اللهِ قال: "مَن أحبَّ الحسَنَ والحُسينَ فقد أحبَّني، ومَن أبغضَهما فقدْ أبغضَني".

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديثِ: بيانُ مَنقبةِ الحُسينِ وفَضلِه، وأنَّ حُبَّه من حُبِّ النَّبيِّ كيف لا وهو سِبْطُ النبي.

٢- وفيه: بيانُ ما كان عليه النبيُّ مِن العَطفِ على الأولادِ والتَّرفُّقِ بهم، والتلَطُّف معهم، ولقد كان رسول الله في منتهى الرحمة واللطف والشفقة بالمسلمين صغارهم كبارهم.

الحديث السابع

أولًا: نص الحديث

يقول أبو هريرة ¢: كُنَّا مع النَّبيِّ ‘ في دَعْوَةٍ، فَرُفِعَ إلَيْـهِ الـذِّرَاعُ - وكَـانَتْ تُعْجِبُـهُ- فَنَهَسَ منهـا نَهْسَـةً. وَقـالَ: أَنَـا سَـيِّدُ القَـوْمِ يَـومَ القِيَامَةِ، هـلْ تَـدْرُونَ بمَ؟ يَجْمَـعُ اللَّهُ الأوَّلِينَ والآخِـرِينَ في صَـعِيدٍ واحِدٍ، فيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ ويُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وتَـدْنُو منهمُ الشَّـمْسُ، فيَقولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلَا تَرَوْنَ إلى مـا أَنْتُمْ فِيـهِ إلى مـا بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُـــرُونَ إلى مَن يَشْـــفَعُ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟ فيَقـــولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فيَقولونَ: يـا آدَمُ، أَنْتَ أَبُـو البَشَـرِ، خَلَقَـكَ اللَّهُ بيَدِهِ، ونَفَخَ فِيكَ مِن رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَـكَ، وأَسْـكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلَا تَشْـفَعُ لَنَـا إلى رَبِّكَ؟ أَلَا تَـرَى مـا نَحْنُ فيـه ومـا بَلَغَنَـا؟ فيَقولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَـهُ مِثْلَـهُ، ولَا يَغْضَـبُ بَعْـدَهُ مِثْلَهُ، ونَهَـانِي عَنِ الشَّـجَرَةِ فَعَصَـيْتُهُ، نَفْسِـي نَفْسِـي، اذْهَبُـوا إلى غيرِي، اذْهَبُوا إلى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فيَقولـونَ: يـا نُـوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إلى أَهْلِ الأرْضِ، وسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَـكُورًا، أَمـا تَـرَى إلى ما نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إلَى ما بَلَغَنَا؟ أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إلى رَبِّكَ؟ فيَقولُ: رَبِّي غَضِبَ اليـومَ غَضَـبًا لَمْ يَغْضَـبْ قَبْلَـهُ مِثْلَـهُ، ولَا يَغْضَـبُ بَعْـدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي نَفْسِي، ائْتُوا النَّبيَّ ‘، فَيَأْتُونِي فأسْجُدُ تَحْتَ العَـرْشِ، فيُقَالُ: يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، واشْـفَعْ تُشَـفَّعْ، وسَـلْ تُعْطَـهْ. قـالَ مُحَمَّدُ بنُ عُبَيْدٍ: لا أَحْفَظُ سَائِرَهُ.

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه البخاري في صحيحه، قال:

4712 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا أَبُو حَيَّانَ التَّيْمِيُّ، عَنْ أَبِي زُرْعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِلَحْمٍ فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ فَنَهَشَ مِنْهَا نَهْشَةً، ثُمَّ قَالَ: "أنا سيد الناس يَوْمَ القِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ البَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ.." الحديث

ثالثًا: شرح معاني الحديث

في هذا الحَديثِ إثباتُ كَرامةِ النَّبيِّ ' على ربِّه سُبحانَه، وإثباتُ الشَّفاعةِ العامَّةِ له '، والشَّفاعةُ العامَّة هي شَفاعتُه ' لأهلِ المحشَرِ جَميعًا أنْ يَبدَأَ الحِسابُ، فيَرْوي أبو هُريرةَ ¢ أنَّهم كانوا مع النَّبيِّ ' في دَعوةٍ وضِيافةٍ على طَعامٍ، فقَدَّمَ الدَّاعون إلى النَّبيِّ ' ذِراعَ الشَّاة، وهي اليدُ الأماميَّةُ مِن الذَّبيحةِ مع الكتِفِ، وكانتْ تُعجِبُه؛ لنُضْجِها وسُرعةِ استِمرائِها، مع زِيادةِ لذَّتِها وحَلاوةِ مَذاقِها، وبُعدِها عن مَواضعِ الأذَى، فنهَسَ منها نَهْسةً، أي: قَطَع منها بأسنانِه، ثمَّ قال: أنا سيِّدُ القوم يومَ القِيامةِ، والسيِّدُ هو الَّذي يفوقُ قومَه ويُفْزَعُ إليه في الشَّدائدِ، وخَصَّ يومَ القِيامةِ بالذِّكرِ لارتفاعِ سُؤدُدِه وتسليمِ جَميعِ الخَلْقِ له، ولكونِ آدَمَ ' وجميعِ ولَدِه تحتَ لِوائِه، وهذا لا يُنافِي السِّيادةَ في الدُّنيا؛ فهو ' سيِّدُ ولَدِ آدمَ في الدُّنيا والآخِرةِ.

ويُعلِّلُ النَّبيُّ ' بذلك بما يَحدُثُ يومَ القيامةِ؛ فإنَّ النَّاسَ يُجمَعون في صَعيدٍ واحدٍ -أي: أرضٍ واحدةٍ- بحيث إنَّ النَّاظرَ يَراهُم ببَصَرِه؛ لأنَّ الأرضَ تكونُ مُستويةً يومئذٍ، ولا حُجُبَ تَمنَعُ الرُّؤيةَ، ويُسمِعُهم الدَّاعي، فإذا صَرَخَ فيهم صارخٌ سَمِعوه جَميعًا، وتَقترِبُ يومئذٍ الشَّمسُ مِن الرُّؤوسِ، فيَشتدُّ الموقفُ والهولُ على أهلِ المحشَرِ، ويَسألُ بَعضُهم بَعضًا عمَّن يَشفَعُ لهم عندَ اللهِ تعالَى ليَبدَأَ الحِسابُ، فيَقول بعضُهم: اذهَبوا لآدمَ، فيَأتونَه ويَقولون له: أنتَ أبو البشَرِ، خلَقَك اللهُ بيَدِه، ونفَخَ فيك مِن رُوحِه، وإضافةُ النَّفخِ إلى رُوحِ اللهِ لتَشريفِه، وأمَرَ الملائكةَ فسَجَدوا لك، ويَطلُبون منه الشَّفاعةَ عندَ اللهِ، فيَقولُ آدمُ: إنَّ ربِّي غَضِب اليومَ غضَبًا لم يَغضَبْ قَبْلَه مِثلَه، ولا يَغضبُ بعْدَه مِثلَه، وذلك ممَّا يَظهَرُ مِن انتقامِه سُبحانَه ممَّن عَصاهُ، وممَّا يُشاهِدُه أهْلُ الجمْعِ مِن الأهوالِ التي لم تكُنْ ولا يكونُ مِثلُها، ثمَّ يَذكُرُ لهم آدَمُ ذَنْبَه، وأنَّه أكَلَ مِن الشَّجرةِ الَّتي نهاهُ اللهُ عنها، ويَنصَحُهم بالذَّهابِ إلى نُوحٍ '، فيَذهَبون لنُوحٍ '، ويقولونَ له: يا نوحُ، أنتَ أوَّلُ الرُّسُلِ إلى أهلِ الأرضِ، ويَذكُرُ النَّاسُ لنُوحٍ ' بعْضَ مَناقبِه وأنَّ اللهَ سمَّاهُ عبْدًا شَكورًا، ويَطلُبون منه الشَّفاعةَ، فيَقولُ لهم مِثلَ ما قال آدمُ '، ويَنصَحُهم بالذَّهابِ إلى نَبيِّنا '، قيل: إنَّ نِسبةَ: «ائتُوا النَّبيَّ '» إلى

نُوحٍ ٬ وهَمٌ، كما ذكَرَ محمَّدُ بنُ عُبيدٍ -أحدُ رُواةِ الحديثِ- في نِهايـةِ الرِّوايـةِ أنَّه لا يَحفَـظُ بـاقيَ الحـديثِ، وإنَّمـا دلَّهم على إبـراهيمَ، وإبراهيمُ دلَّهُم على مُوسى، ومُوسى دلَّهم على عِيسى، وعِيسـى دلَّهُم على النَّبيِّ محمَّدٍ عليهم جميعًا الصَّلاةُ والسَّلامُ، كما بيَّنَت الرِّواياتُ والأحاديثُ في الصَّحيحَينِ.

فيَأتون نَبيَّنا ‘، ويَطلُبون منه الشَّفاعةَ، فيَذهَبُ النَّبيُّ ‘، ويَسجُدُ تحْتَ عَرْشِ الرَّحمنِ، ومِن فضْلِ اللهِ عليه في الآخرةِ أيضًا: أنَّه يُلْهِمُه ويُلْقِي في نفْسِه المحامِدَ الَّتي يُحِبُّها مِن عِبادِه، فتكونُ قُربةً إليه سُبحانَه، ثمَّ يُنادي عليه المولَى تَبارَك وتعالَى: يا محمَّدُ، ارفَعْ رأسَك مِن السُّجودِ، واشفَعْ تُشفَّعْ، أي: اطلُبِ الشَّفاعةَ لمَن شِئْتَ؛ فإنَّ شَفاعتَك مَقبولةٌ فيهم، وسَلْ تُعْطَهْ، أي: اطلُبْ ما شِئْتَ؛ فإنَّه مُجابٌ لك ما تُريدُه، فيَقبَلُ اللهُ شَفاعةَ نبيِّنا ‘.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَديثِ: شِدَّةُ هَولِ الموقِفِ يومَ القِيامةِ.

٢- وفيه: إثباتُ صِفةِ الغَضبِ للهِ ¸، وهي علَى ما يَليقُ به سُبحانَه.

٣- وفيه: إثباتُ عَرْشِ الرَّحمنِ الَّذي استوَى عليه ™ استواءً يَليقُ بجَلالِه، وهو أعْلَى المَخلوقاتِ وأكبرُها وأعظَمُها.

٤- وفيه عِظَمُ منقبة ومكانة الرسول الكريم ‘، المكانة التي يَغبِطُه عليها الأولون والآخرون.

الحديث الثامن

أولًا: نص الحديث

"لو كنتُ متخذًا من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البخاري في صحيحه، قال:

467 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الجُعْفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا وَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، قَالَ: سَمِعْتُ يَعْلَى بْنَ حَكِيمٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرْقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَى المِنْبَرِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أَبِي بكر بْنِ أَبِي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنَ النَّاسِ خليلا لاتخذتُ أبا بَكْرٍ خليلا، وَلَكِنْ خُلَّةُ الإِسْلاَمِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا المَسْجِدِ، غَيْرَ خَوْخَةِ أَبِي بكر»

وأخرجه مسلم في صحيحه، قال:

(2382) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ، حَدَّثَنَا مَعْنٌ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ حُنَيْنٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «عَبْدٌ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ زَهْرَةَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» فَبَكَى أَبُو بكرٍ وَبَكَى، فَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُخَيَّرُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ، وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بكر، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خليلا لَاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ خليلا، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ، لَا تُبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بكر»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

قال الشيخ السقاف: كان أبـو بَكـرٍ أقـرَبَ النَّاسِ إلى النَّبيِّ؛ فهـو رَفيقُه في هِجرَتِه، وهو أعظَمُ هذه الأُمَّةِ إيمانًا وتَصْديقًا، بحيث لـو وُزِنَ إيمانُه بإيمانِ النَّاسِ كلِّهم، لرجَحَ إيمانُه بإيمانِهم.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ أبو سَـعيدٍ الخُـدْريُّ أنَّ رَسـولَ اللـهِ جلَسَ على المِنبَرِ في مرَضِـه الأخـيرِ الَّذي مـات فيـه، وذلـك في العـامِ الحادي عشر مِن الهِجْرةِ بالمَدينةِ المُنوَّرةِ، فقال: «إنَّ عَبدًا خَيَّره اللهُ بيْن أنْ يُؤْتيَـه مِن زَهـرةِ الـدُّنْيا مـا شـاء»، والمَعـنى: يُعْطيـه مِقْـدارَ مـا أرادَ مِن طُـولِ العُمـرِ والبَقـاءِ في الـدُّنْيا، والتَّمتُّعِ بهـا، وزَهرةُ الدُّنيا: نَعيمُها وزِينَتُها، «وبيْن ما عِندَه، فاخْتـارَ مـا عنـدَه»، أي: اختارَ وفضَّلَ ما عندَ اللهِ سُبحانَه، ممَّا أعدَّ له مِن أنْواعِ النَّعيمِ

المُقيمِ، ولذَّةِ اللِّقاءِ، والنَّظَرِ إلى وَجْهِه الكَريمِ، فلمَّا سَمِع أبو بَكرٍ ذلك القَولَ مِن النَّبيِّ بَكى، وقال: فدَيْناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا! فتَعجَّبَ الحاضِرونَ مِن قَولِ أبي بَكرٍ وبُكائِه؛ إذ لم يَفْهَموا مِن كَلامِ النَّبيِّ ما يَستَدْعي ذلك البُكاءَ والقَولَ مِن أبي بَكرٍ، ولكنَّ الصِّدِّيقَ قدْ فهِمَ مِن هذا الكَلامِ مُفارَقَتَه الدُّنْيا، وأنَّ العَبدَ المُخيَّرَ هو رَسولُ اللهِ، فبَكى لذلك، وقال ما قال.

فلمَّا مات النَّبيُّ فهِمَ النَّاسُ مَقصِدَه مِن كَلامِه؛ ولذلك قال أبو سَعيدٍ الخُدْريُّ «فكان رَسولُ اللهِ هو المُخيَّرَ»، أي: هو الَّذي خَيَّره اللهُ بيْن نَعيمِ الدُّنْيا وبيْن لِقائِه، وكان أبو بَكرٍ أعلَمَ النَّاسِ بالنَّبيِّ.

وقد قال في حقِّ أبي بَكرٍ «إنَّ مِن أمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحبَتِه ومالِه أبا بَكْرٍ»، ومَعْناه: أنَّه أكثَرُهم جُودًا وسَماحةً لنا بنفْسِه ومالِه، وليس هو مِن المَنِّ الَّذي هو الاعْتِدادُ بالصَّنيعةِ؛ لأنَّه أذًى مُبطِلٌ للثَّوابِ، ولأنَّ المِنَّةَ للهِ ولرَسولِه في قَبولِ ذلك، وفي غيرِه. وقال: «ولو كُنتُ مُتَّخِذًا خَليلاً مِن أُمَّتي لاتَّخَذْتُ أبا بَكرٍ، إلاَّ خُلَّةَ الإسْلامِ»، والمَعنى: لو كُنتُ مُتَّخِذًا صَديقًا أنقطِعُ إليه، وأُفرِّغُ قَلْبي لمَودَّتِه، لاتَّخَذْتُ أبا بَكرٍ. وقيلَ: أصْلُ الخُلَّةِ: الافْتِقارُ والانْقِطاعُ، فخَليلُ اللهِ: المُنقَطِعُ إليه، وقيلَ: لأنَّه قَصَرَ حاجَتَه على اللهِ تعالَى، وقيلَ: الخُلَّةُ: الاخْتِصاصُ، وقيلَ: الاصْطِفاءُ، والنَّبيُّ ليس له خَليلٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالَى قدِ اتَّخَذَه خَليلاً، وهذا لا يُنافي ما ذكَرَه الصَّحابةُ مِن اتِّخاذِهم إيَّاه خَليلاً؛ إذ لا يُشترَطُ في الخُلَّةِ أنْ تكونَ مِن الطَّرَفَينِ، ولوِ اتَّخَذَ النَّبيُّ أحَدًا خَليلاً لاتَّخَذَ أبا بَكرٍ لأنَّه أهلٌ لذلك لولا المانِعُ؛ فإنَّ خُلَّةَ الرَّحمَنِ تعالَى لا تسَعُ مُخالَّةَ شَيءٍ غَيرِه أصْلاً، ولم يكُنْ بيْن النَّبيِّ وبيْنه إلاَّ أُخوَّةُ الإسْلامِ.

وقال: «لا يَبقَيَنَّ في المَسجِدِ خَوْخةٌ إلاَّ خَوْخةُ أبي بَكرٍ»، والخَوْخةُ: البابُ الصَّغيرُ، وكان بعضُ الصَّحابةِ فَتَحوا أبْوابًا في دِيارِهم إلى المَسجِدِ، فأمَرَ النَّبيُّ بسَدِّها كلِّها إلاَّ بابَ أبي بَكرٍ؛ ليَتميَّزَ بذلك فَضلُه.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَديثِ: مَنقَبةٌ عَظيمةٌ لأبي بَكرٍ، وأن النبي لو جاز له اتخاذ خليل يصافيه ويخالله لكان أبا بكر رضوان الله عليه، والخلة أعلى بكثير من الحب، لأن الخلة لا تصح إلا لشخص واحد، فإن رسول الله له أحباب كثيرون، إلا أنه لم يمكنه اتخاذ خليل، لأنه خليل الرحمن.

٢- وفيه: تَعْريضٌ بالخِلافةِ لأبي بَكرٍ بعْدَ النَّبيِّ، وقد أشار النبي في كثير من المواقف إلى هذا، كأمره بأن يصلي أبو بكر بالناس.

٣- وفيه: أنَّ المَساجِدَ تُصانُ عن تَطرُّقِ النَّاسِ إليها، إلاَّ لحاجةٍ مُهِمَّةٍ.

٤- وفيه: التَّرغيبُ في اختيارِ ما في الآخِرةِ على ما في الدُّنيا.

٥- وفيه: شُكرُ المحسِنِ، والتَّنويهُ بفضْلِه، والثَّناءُ عليه.

الحديث التاسع

أولًا: نص الحديث

"مَثَـلُ مـا بَعَثَنِي اللَّهُ بـه مِنَ الهُـدَى والعِلْمِ، كَمَثَـلِ الغَيْثِ الكَثِـيرِ أصابَ أرْضًا، فَكانَ مِنْها نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فـأنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْـبَ الكَثِيرَ، وكانَتْ مِنْها أجادِبُ، أمْسَكَتِ المـاءَ، فَنَفَـعَ اللَّهُ بهـا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وسَـقَوْا وزَرَعُـوا، وأَصـابَتْ مِنْهـا طائِفَـةً أُخْـرَى، إنَّمـا هي قِيعانٌ لا تُمْسِـكُ مـاءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً، فَـذلكَ مَثَـلُ مَن فَقُـهَ في دِينِ اللَّهِ، ونَفَعَهُ ما بَعَثَنِي اللَّهُ به فَعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ مَن لَمْ يَرْفَعْ بـذلكَ رَأْسًا، ولَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذي أُرْسِلْتُ بهِ"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البخاري في صحيحه، قال:

79 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ العَلاَءِ، قَالَ: حَدَّثَنَا حماد بْنُ أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ الله، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مثل ما بعثني اللَّهُ به مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ، كمثل الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المـــاء، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بهــــا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إنمــا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ ماء وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مثل مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، ومثل مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ به»

وأخرجه مسلم في صحيحه، قال:

(2282) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَأَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْعَلَاءِ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي عَامِرٍ - قَالُوا: حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ مثل ما بعثني اللهُ به عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كمثل غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ الماء فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المـاء، فَنَفَعَ اللهُ بهــــا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى، إنمـا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ ماء، وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مثل مَنْ

فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ بما بَعَثَنِيَ اللهُ به، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، ومثل مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ به»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

كان النبيُّ ' أحسنَ الناسِ تَعليمًا؛ فكان كَثيرًا ما يَستخدِمُ ضَرْبَ الأمْثلةِ البَليغةِ الوَجيزةِ الَّتي بها تَصِلُ بها المعلومةُ وتَرسَخُ في الأذهانِ. وفي هذا الحَديثِ يُشبِّهُ لنا ' الهُدى والدَّلالاتِ المُوصِلةَ إلى اللهِ، والعِلمَ الشَّرعيَّ المُستمدَّ مِن كِتابِ اللهِ تعالَى وسُنَّةِ نَبيِّه '؛ بالمَطَرِ الغزيرِ الَّذي يَنزِلُ على أنواعٍ مُختلفةٍ مِن الأرضِ: أوَّلُها: الأرضُ الخِصبةُ النَّقيَّةُ مِن الحَشراتِ والدِّيدانِ الَّتي تَفتِكُ بالزَّرعِ، فهذه تَقبَلُ الماءَ، فتَشرَبُ مِياهَ الأمطارِ، فتُنبِتُ النَّباتَ الكثيرَ رَطبًا ويابسًا، ومَثَلُها مَثَلُ العالِمِ المُتفقِّهِ في دِينِ اللهِ، العامِلِ بعِلمِه، المُعلِّمِ لغيرِه، وهذا هو الطَّرَفُ الأعلى في الاهتداءِ. وثانيها: الأرضُ المُجدِبةُ، المُمسِكةُ للماءِ، وهي الأرضُ الصُّلبةُ الَّتي لا تُنبِتُ زَرعًا، فكانت بمَثابةِ خزَّاناتٍ ضَخمةً، تَحفَظُ الماءَ، وتمُدُّ به غيرَها، فيَنتفِعُ بها النَّاسُ، فيَشرَبون ويَسقُون مَواشيَهم، ويَزرَعون الأراضيَ الخِصبةَ بمائِها، فهي وإنْ لم تَنتفِعْ بالغيثِ في نفْسِها، فإنَّها نفَعَتْ غيرَها؛ مِن الإنسانِ، والحيوانِ، والأراضي الأُخرى، وذلك مَثَلُ ناسٍ لهم قُلوبٌ حافظةٌ، لكنْ لَيست لهم أذهانٌ ثاقبةٌ، ولا رُسوخَ لهم في العِلمِ يَستنبِطون به المعانيَ والأحكامَ، وليس لهم اجتهادٌ في العمَلِ به، فهمْ يَحفَظونه حتى يَجِيءَ أهلُ العلمِ للنَّفعِ والانتفاعِ، فيَأخُذوه منهم فيُنتفَع به، فهؤلاء نَفَعوا بما بَلَغَهم. وقيل: مَثَلُها مَثَلُ العالم الَّذي يعلِّمُ غيرَه، ولا يعمَلُ بعلمِه؛ فهو كالشَّمعةِ تُضيءُ لغيرِها، وتُحرِقُ نفْسَها. وثالثُها: قِيعانٌ، جمْعُ قاعٍ، وهي الأرضُ المتَّسِعةُ، وقيل: المَلْساءُ، وقيل: التي لا نَباتَ فيها، وهذا هو المرادُ في الحديثِ؛ الأرضُ السِّباخُ الَّتي لا تُنبِت زَرعًا، ولا تُمسِكُ ماءً، فهي لم تَنتفِعْ بذلك المطَرِ في نفْسِها، ولم تَنفَعْ غيرَها به؛ لاستِواءِ سَطْحِها وعدَمِ إنباتِها؛ فهي شَرُّ أقسامِ الأرضِ وأخبَثُها، ومَثَلُها مَثَلُ المسلِمِ

الجاهلِ، أو المسلِمِ العالمِ الَّذي لم يَعمَلْ بعِلمِه، ولم يُعلِّمْه غيرَه، وهو المقصودُ بقولِه: «مَن لم يَرفَعْ بذلك رأسًا»، أو الكافرُ الَّذي لم يَدخُلْ في الدِّينِ أصلًا، وهو المقصودُ بقولِه: «ولم يَقبَلْ هدَى اللهِ».

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديثِ: فضْلُ مَن عَلِمَ وعَمِلَ وعلَّم، وأنه بأعلى المنازل عند الله تعالى، بشرط الإخلاص لله تعالى.

٢- وفيه: ذمُّ الإعراضِ عن العِلمِ، وأن هذا يجعل الإنسانَ متعرضًا للعنة الله تعالى وسخطه، كما جاء في الأحاديث السابقة.

٣- وفيه فضل ما جاء به محمد ‘ من الهدى والخير، وفضل من جاء بهذا ‰.

الحديث العاشر

أولًا: نص الحديث

"حُبِّبَ إليَّ من دُنْياكمُ النِّساءُ والطِّيبُ وجُعِلَت قُرَّةُ عَيني في الصَّلاةِ"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، قال:

13454 - أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ يُوسُفَ، أنبأ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ الْقَطَّانُ، ثنا عَلِيُّ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي عِيسَى الْهِلَالِيُّ، ثنا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، ح وَأَخْبَرَنَا الْإِمَامُ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، أنبأ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، ثنا مُطَيَّنٌ، ثنا عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ، قَالَا: ثنا سَلَّامٌ أَبُو المنذر، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنَّمَا حبب إلي من دنياكم النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ"

ثالثًا: شرح معاني الحديث

كان النَّبيُّ ' أعبَدَ النَّاسِ وأتْقاهم للـهِ ¸؛ فلم يكُنْ يُحِبُّ مِن الـدُّنيا إلَّا الطَّيِّبَ، فـأحَبَّ أزواجَـه، وأحَبَّ الـرَّوائحَ الطَّيِّبـةَ؛ مِن مِسْـكٍ وغيرِه، وحَثَّ عليه ورغَّبَ فيه، كما يقولُ النَّبيُّ ' في هذا الحديثِ: "حُبِّبَ إليَّ مِن الـدُّنيا"، أي: نَصـيبي منهـا ومـا أتحصَّـلُ عليـه مِن مَتاعِهـا: "النِّسـاءُ"، أي: زَوْجاتُه ‡، وهنَّ مِن أَوْلى مَن يـدخُلُ في قولِه ': "خـيرُ مَتـاعِ الـدُّنيا المـرأةُ الصَّـالحةُ"، "والطِّيبُ"، أي: العُطورُ ونَحوُها ممَّا يُـدَّهَنُ بـه، "وجُعِـلَ قُـرَّةُ عَيْـني في الصَّـلاةِ"، وهـذا بيـانٌ لعظيمِ محبَّتِـه لهـا؛ وذلـكَ لِمـا فيهـا مِن القُـرْبِ مِن المولَى ¸؛ فلا شيءَ يُسعِدُه ويُدخِلُ عليه السُّرورَ بمِثْلِ مـا تُـدخِلُ عليه الصَّـلاةُ؛ فقُـرَّةُ العينِ يُعبَّرُ بهـا عنِ المَسـرَّةِ ورؤيـةِ مـا يُحِبُّه الإنسانُ.

وقـال الشـوكاني في نيـل الأوطـار "وَقَالَ فِي تَخْرِيجِ الْكَشَّافِ وَالتَّلْخِيصِ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ طُرُقِهِ لَفْظُ ثَلَاثٍ بَلْ أَوَّلُهُ عِنْدَ الْجَمِيعِ: (حبب إلَيَّ مِنْ دنياكم النِّسَاءُ) الْحَدِيث وَزِيَادَةُ ثَلَاثٍ تُفْسِدُ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ أَبَا بَكْرِ بْنَ فُورَكٍ شَرَحَهُ فِي جُزْءٍ مُفْرَدٍ بِإِثْبَاتِهَا، وَكَذَلِكَ أَوْرَدَهُ الْغَزَالِيُّ فِي الْإِحْيَاءِ، وَاشْتُهِرَ عَلَى الْأَلْسِنَةِ انْتَهَى، وَإِنَّمَا قَالَ: إنَّ زِيَادَةَ لَفْظِ ثَلَاثٍ تُفْسِدُ الْمَعْنَى لِأَنَّ الصَّلَاةَ لَيْسَتْ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا. وَقَدْ وَجَّهَ ذَلِكَ السَّعْدُ فِي حَاشِيَةِ الْكَشَّافِ فَقَالَ: وَقُرَّةُ عَيْنِي مُبْتَدَأٌ قُصِدَ بِهِ الْإِعْرَاضُ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا وَمَا يُحَبُّ فِيهَا وَلَيْسَ عَطْفًا عَلَى الطِّيبِ كَمَا سَبَقَ إلَيَّ الْفَهْمِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا. وَوَجَّهَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّ (من) بِمَعْنَى فِي، قَالَ: وَقَدْ جَاءَتْ كَذَلِكَ فِي قَوْله تَعَالَى: {مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ} أي في الأرض، وَرَدَّهُ صَاحِبُ الثَّمَرَاتِ بِأَنَّهُ قَدْ حبب إليـه أكـثر من ذَلِكَ نَحْوُ الصَّوْمِ وَالْجِهَادِ وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنْ الطَّاعَاتِ انْتَهَى.

وَمِثْلُ مَا قَالَ الْحَافِظُ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ زَيْنُ الدِّينِ الْعِرَاقِيُّ فِي أَمَالِيهِ، وَصَرَّحَ بِأَنَّ لَفْظَ ثَلَاثٍ لَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ وَأَنَّهَا مُفْسِدَةٌ لِلْمَعْنَى. وَكَذَلِكَ قَالَ الزَّرْكَشِيُّ وَغَيْرُهُ. وَقَالَ الدَّمَامِينِيُّ: لَا أَعْلَمُهَا ثَابِتَةً مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحَةٍ،

وَالْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الطِّيبَ وَالنِّسَاءِ محببان إلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَقَدْ وَرَدَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الطِّيبَ محبب إلَى اللَّهِ تَعَالَى فَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ ابْنِ الْمُسَيِّبِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ يُحِبُّ الطِّيبَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ جَوَّادٌ يُحِبُّ الْجُودَ فَنَظِّفُوا أَفْنِيَتَكُمْ وَلاَ تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ»

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديثِ: الحَثُّ على التَّطيُّبِ بالرَّوائحِ الطَّيِّبةِ.

٢- وفيه: بَيانُ عِظَمِ قَدْرِ الصَّلاةِ عندَ النَّبيِّ ‘، وأنَّها يَنبغي أنْ تكونَ الأَوْلَى عندَ كلِّ مسلِمٍ.

٣- وفيه توجيهٌ إلى بعض ما كان يحبه رسول الله ‘ من أمور الدنيا، وتوجيهٌ إلى الاقتداء به %o.

الحديث الحادي عشر

أولًا: نص الحديث

"لا تطرُوني كما أطرتِ النصارَى ابنَ مريمَ إنما أنا عبدٌ فقولوا عبدُ اللهِ ورسولُه"

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه البخاري في صحيحه، قال:

3445 - حَدَّثَنَا الحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ الزُّهْرِيَّ، يَقُولُ: أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لا تطروني، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»

ورواه أحمد في مسنده، قال: 154 - حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: زَعَمَ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "لا تطروني كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ"

ثالثًا: شرح معاني الحديث

في هذا الحديثِ يُرشِدُ النَّبيُّ ‘ أُمَّتَه ألَّا يُبالِغوا في مَدْحِه، وألَّا يُنزِلوه عنْ مَنزلتِه، فيَقولُ ‘: «لا تُطْروني كما أَطْرَتِ النَّصارى ابنَ مريمَ»، والإطراءُ هو: الإفراطُ في المَديحِ ومُجاوَزةُ الحدِّ فيه، وقيل: هو المديحُ بالباطلِ والكذِبُ فيه، والمعنى: لا تَمْدَحوني بالباطلِ وبما ليس لي مِن الصِّفاتِ، كما وصَفَتِ النَّصارى عِيسى ابنَ مَريمَ بما لم يكُنْ فيه، فزعَموا أنَّه ابنُ اللهِ، فكَفَروا بذلك وضلُّوا، وقدْ بيَّنَ اللهُ سُبحانَه في كِتابِه ما كان عليه النَّصارى مِن الغُلوِّ وحَذَّرَهم مِن ذلك، ومنه قولُ اللهِ تعالَى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ

سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: 171].

ثمَّ أمَرَهم النَّبيُّ ‘ بأنْ يَقولوا عنه: إنَّه عبْدُ اللهِ ورَسولُه، وجمَعَ ‘ بيْن وَصْفِه بالعُبوديَّةِ للهِ ووَصْفِه بالرِّسالةِ؛ دَفْعًا للإفراطِ والتَّفريطِ؛ فدَفَعَ الإفراطَ والغُلوَّ فيه ‘ بكَونِه ‘ عبْدَ اللهِ تعالَى، ودفَعَ التَّقصيرَ والتَّفريطَ في حقِّه ‘ بتَرْكِ مُتابَعتِه، وعدَمِ الأخْذِ بسُنَّتِه، والسَّيرِ على نَهْجِه الَّذي أرْسَلَه اللهُ به؛ بكَونِه رَسولَ اللهِ ¸. فلا غُلوَّ في حقِّه ‘ ولا قُصورَ، ووَصْفُه ومَدْحُه ‘ بما فضَّله اللهُ به وشرَّفه؛ حقٌّ واجبٌ على كلِّ مَن بَعَثه اللهُ إليه مِن خَلْقِه.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديثِ: تَوجيهُ النَّبيِّ ‘ أُمَّتَه للوسَطيَّةِ والاعتدالِ في حقِّه ‘، وأنه لا يحتاج إلى المبالغة في إكرامه، فالله قد أكرمه بما لا مزيد عليه.

٢- وفيه: ذِكرُ أهلِ الضَّلالِ بضَلالاتِهم؛ تَحذيرًا مِن الوقوعِ فيما وَقَعوا فيه.

٣- وفيه أن مرتبة العبودية والرسالة أعلى وأسمى المراتب مطلقًا، لأن الله ¸ أنزل نبيه هذه المنزلة، وهو أكرم الخلق عليه، فهذه المنزلة أعلى المنازل.

الحديث الثاني عشر

أولًا: نص الحديث

"مَن يُرِدِ اللَّهُ به خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّينِ، وإنَّما أنا قاسِمٌ ويُعْطِي اللَّهُ، ولَنْ يَزالَ أمْرُ هذِه الأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، أوْ: حتَّى يَأْتِيَ أمْرُ اللَّهِ."

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البخاري في الصحيح، قال:

71 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عُفَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ، خَطِيبًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أنا قاسم وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»

وأخرجه مسلم في الصحيح، قال:

(1037) وحَدَّثَنِي حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي يُونُسُ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُوَ يَخْطُبُ يَقُولُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أنا قاسم وَيُعْطِي اللهُ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

اللهُ ´ حَليمٌ رَحيمٌ بِعِبادِه، يُحِبُّ لهم الخيرَ، وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النبيُّ ‘ أنَّ مَن أراد به اللهُ خيرًا عَظيمًا، ونفْعًا كثيرًا، يُفقِّهْهُ في الدِّينِ، فيَمنَحْه العِلمَ الشَّرعيَّ الَّذي لا يُدانيه خَيرٌ في هذا الوُجودِ في فضْلِه وشرَفِه، وعُلوِّ درَجتِه؛ لأنَّه مِيراثُ الأنبياءِ الَّذي لم يُورِّثُوا غيرَه، وجاء قولُه: «خَيرًا» نَكِرةً؛ ليَشمَلَ القَليلَ والكثيرَ، والتَّنكيرُ للتَّعظيمِ أيضًا؛ لأنَّ المَقامَ يَقتضيهِ.ثمَّ أخبَرَ ‘ أنَّ المعطيَ حَقيقةً هو اللهُ تعالَى، ولستُ أنا مُعطيًا، وإنَّما أنا أَقْسِمُ ما أُمِرتُ بقِسمَتِه على حسَبِ ما أُمِرْتُ به؛ فالأمورُ كلُّها بمَشيئةِ اللهِ تعالَى وتَقديرِه، والإنسانُ مُصَرَّفٌ مَربوبٌ، فالمالُ للهِ تعالَى، والعِبادُ لَه سُبحانَه، والنبيُّ ‘ قاسمٌ بإذنِه مالَه بيْنكم، فمَن قسَم له ‘ كثيرًا، فبقدَرِ اللهِ تعالى وما سبَقَ له في الكتابِ، وكذا مَن قسَمَ له قَليلًا؛ فلا يَزدادُ لأحدٍ في رِزقِه، كما لا يَزدادُ في أجَلِه، وسَببُ قولِه لذلك تَطييبُ قُلوبِ النَّاسِ؛ لمُفاضَلتِه بَعضَ الناسِ بالعَطاءِ. ثمَّ أخبَرَنا النبيُّ ‘ أنَّه لا تَزالُ طائفةٌ مِن المسلمين ثابتةً على دِينِه، مُستمسِكةً به، وقائِمةً به إلى قِيامِ السَّاعةِ، قيل: إنَّ ثَباتَهم على الدِّينِ يَأتي بتَمسُّكِهم بالجِهادِ والقِتالِ في سَبيلِ نُصرةِ الحقِّ وإعلاءِ كَلمةِ اللهِ ¸، حتى يَأتِيَهم أمرُ اللهِ، وهي الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ تَكونُ قبْلَ قيامِ السَّاعةِ تَقبِضُ أرواحَ المؤمنينَ، كما فُسِّر في بَعضِ الرِّواياتِ. وهذا ممَّا يدُلُّ على أنَّ الحقَّ لا يَنقطِعُ في أُمَّةِ الإسلامِ؛ فهناك مَن يَتوارَثُه جِيلًا بعدَ جِيلٍ.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديثِ: فَضْلُ العِلمِ، وفضْلُ تعلُّمِه، وأنَّ العِلمَ الشَّرعيَّ أشرفُ العُلومِ إطلاقًا؛ لعَلاقتِه باللهِ ¸.

٢- وفيه: أنَّ الفِقهَ في الدِّينِ مِن عَلامات خَيريَّةِ المسلِمِ.

٣- وفيه: أنَّ الإسلامَ لا يَذِلُّ وإنْ كَثُر أعداؤُه.

٤- وفيه: عَلَمٌ مِن أعلامِ نُبوَّتِه ‘.

٥- وفيه أن النبي ‘ قاسمٌ للمال الذي يرزقه الله ¸ لعباده المؤمنين.

الحديث الثالث عشر

أولًا: نص الحديث

"سَمُّوا باسْمِي ولا تَكْتَنُوا بكُنْيَتِي، ومَن رَآنِي في المَنامِ فقَدْ رَآنِي؛ فإنَّ الشَّيْطانَ لا يَتَمَثَّلُ في صُورَتِي، ومَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ."

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه البخاري في صحيحه، قال:

110 - حَدَّثَنَا مُوسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي حَصِينٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي ولا تكتنوا بكنيتي، وَمَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ فِي صُورَتِي، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»

ورواه الدارمي في سننه، قال:

2735 - أَخْبَرَنَا سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسَمَّوْا بِاسْمِي، ولا تكتنوا بكنيتي»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

مناسبةُ هذا الحديثِ هي أنَّ النَّبيَّ ‘ كان في السُّوقِ، فقالَ رجُلٌ: يا أبا القاسمِ، فَالتفَتَ إليه النَّبيُّ ‘، فقالَ الرَّجلُ: إنَّه كان يَقصِدُ رجُلًا غيرَه، فقالَ النَّبيُّ ‘: «سَمُّوا بِاسْمي، ولا تَكنَّوا بِكُنيتي»، يعني: لا مانِعَ في أن يُسمَّى أحدٌ بمُحمَّدٍ، ولكنْ لا يُكنَّى أحدٌ بِأبي القاسمِ، والكنيةُ: كلُّ اسمِ عَلَمٍ يَبدأُ بِأبٍ أو أُمٍّ، وكُنْيةُ النَّبيِّ ‘ هي أبو القاسمِ.

وقد أوضَحَ السَّببَ والعِلَّةَ في تَكَنِّيه ' بذلك في حـديثِ جـابرٍ عنـد البُخاريِّ، فقال: «فإنَّما أنا قاسِمٌ»، أي: أُعطِيَ كُلَّ واحدٍ مـا يَليـقُ به، وفي حَديثِ أبي هُريرةَ ¢ عندَ البُخاريِّ: «وأَضَعُ حيثُ أُمِرتُ»، فلا أُعطي أحدًا ولا أمنعُ أحدًا إلَّا بإذنٍ مِن اللهِ، فمَنْ أَعطيتُـهُ قليلًا فهذا بقَدَرِ اللهِ، ومَن أعْطيتُهُ كثيرًا فهذا أيضًا بقدرِ اللهِ.

فنهَى النَّبيُّ ' أنْ يَجمَعَ أحدٌ بيْن اسمِه وكُنيتِه، فيُسـمَّى محمَّدًا أبـا القاسمِ، قِيل: يُحمَلُ النَّهيُ على التَّكنِّي بكُنيتِه، سَواءٌ اسمُه محمَّدٌ أوْ لا. وقيل: يَختَصُّ هذا النَّهيُ بزَمانِه '.

وأَخْبَرَ ' أيضًا في هذا الحديثِ أنَّ الشَّيطانَ لا يَتمثَّلُ في صُورتِه '، وأنَّ مَن رآه في المنامِ على هَيْئتِه ووصْفِه المعروفِ المَنقول إلينا في كُتُبِ السُّنَّةِ ولو في أيِّ مَرحَلةٍ مِن مَراحِلِ حَياتِـه، فإنَّه يكـونُ رأى النَّبيَّ ' حَقيقةً؛ لأنَّ الشَّيطانَ لا يُمكِنُه التَّشـبُّهُ بِصُـورتِه، ومَن رأى النَّبيَّ ' على غَيرِ صُورَتِه المَعروفةِ فلا يُقالُ: إنَّه رأى النَّبيَّ '؛ فقدْ تَكـونُ الرُّؤيـا تَعبيـرًا عن حـالِ الـرَّائي له '، أو تَخيُّلًا منـه هـو لِصِـفةِ النَّبيِّ '، أو تَكــونُ مِنَ الشَّــيطانِ؛ لِأنَّ الحَــديثَ ذَكَــرَ أنَّ الشَّيطانَ لا يَتمَثَّلُ بصُورةِ النَّبيِّ '.

ولا يَلـزَمُ مِن ذلـك أنْ يَكـونَ الـرَّائي مِنَ الصَّالِحينَ، ولا يَجـوزُ أنْ يُعتمَدَ عليها في شَيءٍ يُخالِفُ ما عُلِمَ مِنَ الشَّرعِ، بلْ يَجِبُ عَـرْضُ ما سَمِعَه الرَّائي مِنَ النَّبيِّ ' مِن أوامِرَ أو نَواهٍ أو خَبَرٍ أو غَيرِ ذلـك مِنَ الأُمورِ التي يَسمَعُها أو يَراها الـرَّائي لِلرَّسـولِ ' على الكِتـابِ والسُّنَّةِ الصَّحيحةِ؛ فما وافَقهما أو أحَـدَهما قُبِـلَ، ومـا خالَفَهمـا أو أحَدَهما تُرِكَ؛ لِأنَّ اللهَ سُبحانَه قـدْ أكمَـلَ لِهـذه الأُمَّةِ دِينَهـا، وأتَمَّ عليها النِّعمـةَ قبْـلَ وَفـاةِ النَّبيِّ '؛ فلا يَجـوزُ أنْ يُقبَـلَ مِن أحَـدٍ مِنَ الناسِ ما يُخالِفُ ما عُلِمَ مِن شَرعِ اللهِ ودِينِه، سواءٌ كان ذلـك مِن طَريقِ الرُّؤيا أو غَيرِها، وهذا مَحَـلُّ إجمـاعٍ بيْنَ أهـلِ العِلْمِ المُعتَـدِّ بهم.

ثُمَّ حذَّرَ النَّبيُّ ' مِنَ الكذِبِ عليه؛ لأنه جريمـةٌ عُظمى، ولا يُسـاويه أيُّ كَذِبٍ على شَخصٍ آخرَ؛ لأنَّ حقَّه أعظمُ، وحـقَّ الشـريعةِ آكَـدُ، ولأنَّ الكذبَ عليه ذريعةٌ إلى إبطالِ شَرْعِه، وتَحريفِ دِينِـه، وبيَّن '

عُقوبةَ الكاذِبِ عليه بأن يتَّخِذَ لنَفْسِه مَوضِعًا لـه في النَّارِ ويَسـتَعِدَّ لِدخولهِا يـومَ القِيامـةِ؛ جَـزاءً بمـا فعَلَـه مِنَ الكـذبِ على النَّبيِّ ‘، وزجرًا وتخويفًا منَ الإقدامِ على هذه الكبيرةِ.

وهذا في حـقِّ مَن كـذَبَ عليه ‘ مُتعمِّدًا قاصِـدًا الكـذبَ. والكـذبُ عليهِ ‘ يكونُ بأنْ يُنسَبَ إليه ‘ ما لم يَقُلْه أو يَفعَلْه ‘، أو يُقِرَّ به.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَديثِ: مَشروعيَّةُ التَّسميةِ بأسماءِ الأنبياءِ.

٢- وفيه: التحذيرُ مِن نِسبةِ شَيءٍ إلى النَّبيِّ ‘ على غيرِ الحقيقةِ.

٣- وفيه أن الشيطان لا يتمثل بصورة رسول الله ‘.

الحديث الرابع عشر

أولاً: نص الحديث

"هذا جبل يحبنا ونحبه"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البخاري في صحيحه، قال:

4084 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عَنْ عَمْرٍو، مَوْلَى المُطَّلِبِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ فَقَالَ: «هَذَا جبل يحبنا وَنُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ وَإِنِّي حَرَّمْتُ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا»

وأخرجه مسلم في صحيحه، قال:

(1393) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا قُرَّةُ بْنُ خَالِدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أُحُدًا جبل يحبنا وَنُحِبُّهُ"

ثالثًا: شرح معاني الحديث

قـال ابن عبـد الـبر في التمهيـد "ذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى حَمْلِ هَذَا الْقَوْلِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَقَالُوا جَائِزٌ أَنْ يُحِبَّهُمُ الجبل كَمَا يُحِبُّونَهُ وَعَلَى هَذَا حَمَلُوا كُلَّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ وَفِي الْحَدِيثِ مِنْ

مِثْلِ هَذَا نَحْوُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ فما بكت عليهم السماء والأرض وقالتا أتينا طائعين ويا جبال أوبي معه والطير أي سبحي معه وجدارا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ وَأَمَّا الْحَدِيثُ فَفِيهِ مَا لَا يُحْصَى مِنْ مِثْلِ هَذَا نَحْوُ مَا رُوِيَ أَنَّ الْبِقَاعَ لَتَتَزَيَّنُ لِلْمُصَلِّي وَأَنَّ الْبِقَاعَ لَيُنَادِي بَعْضُهَا بَعْضًا هَلْ مَرَّ بِكِ الْيَوْمَ ذَاكِرًا لِلَّهِ وَقَالَ آخَرُونَ هَذَا مَجَازٌ يُرِيدُ أَنَّهُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا أَهْلُهُ وَنُحِبُّهُمْ وَأُضِيفَ الْحُبُّ إِلَى الْجَبَلِ لِمَعْرِفَةِ الْمُرَادِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْمُخَاطَبِينَ مِثْلَ قَوْلِهِ وسئل الْقَرْيَةَ يُرِيدُ أَهْلَهَا وَقَدْ ذَكَرْنَا هَذَا الْمَعْنَى بِدَلَائِلِ الْمَجَازِ فِيهِ وَمَا لِلْعُلَمَاءِ مِنَ الْمَذَاهِبِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فِي بَابِ عبد الله بن يزيد وباب زيد ين أَسْلَمَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ"

وقال النووي في شرح صحيح مسلم "الصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ أَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّ أُحُدًا يُحِبُّنَا حَقِيقَةً جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ تَمْيِيزًا يُحِبُّ بِهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ من خشية الله وَكَمَا حَنَّ الْجِذْعُ الْيَابِسُ وَكَمَا سَبَّحَ الْحَصَى وَكَمَا فَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَمَا قَالَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ وَكَمَا دَعَا الشَّجَرَتَيْنِ الْمُفْتَرِقَتَيْنِ فَاجْتَمَعَا وَكَمَا رَجَفَ حِرَاءٌ فَقَالَ اسْكُنْ حِرَاءُ فَلَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ الْحَدِيثَ وَكَمَا كَلَّمَهُ ذِرَاعُ الشَّاةِ وَكَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تفقهون تسبيحهم وَالصَّحِيحُ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُسَبِّحُ حَقِيقَةً بِحَسَبِ حَالِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُهُ وَهَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ شَوَاهِدُ لِمَا اخْتَرْنَاهُ وَاخْتَارَهُ الْمُحَقِّقُونَ فِي مَعْنَى الْحَدِيثِ وَأَنَّ أُحُدًا يحبنا حَقِيقَةً وَقِيلَ الْمُرَادُ يُحِبُّنَا أَهْلُهُ فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديث فضيلةٌ لجبل أحد، وهو أنه يحب النبي كما أن النبي يحبه، وهي محبة حقيقية من كليهما.

٢- وفيه خصيصة ومعجزة لرسول الله إذ علم بمشاعر هذا الجبل وهو جماد.

٣- وفيه أن النبي ‰ يحبه كل شيء، حتى الجمادات، والحيوانات، وسائر الأشياء.

الحديث الخامس عشر

أولاً: نص الحديث

"يا مُعَاذُ، إنِّي أُحِبُّكَ"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه أحمد في مسنده، قال:

22119 - حَدَّثَنَا الْمُقْرِئُ، حَدَّثَنَا حَيْوَةُ قَالَ: سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ التُّجِيبِيَّ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ، عَنْ الصُّنَابِحِيّ، عَنْ معاذ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا، ثُمَّ قَالَ: "يَا مُعَاذُ إني لأحبك" فَقَالَ لَهُ معاذ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ: وَأَنَا أحبك، قَالَ: "أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ" قَالَ: وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَوْصَى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ.

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، قال:

9857 - أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي قَالَ: حَدَّثَنَا حَيْوَةُ قَالَ: سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ التُّجِيبِيَّ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ، عَنْ الصُّنَابِحِيِّ، عَنْ معاذ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ بِيَدِهِ يَوْمًا ثُمَّ قَالَ: «يَا معاذ، وَاللهِ إني لأحبك» فَقَالَ لَهُ معاذ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَنَا وَاللهِ أحبك قَالَ: "أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ" وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَوْصَى بِهِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ.

ثالثًا: شرح معاني الحديث

قال الشيخ السقاف: كانَ النبيُّ حريصا كـل الحـرص على النصـح لأصحابِه رِضوانُ اللهِ عَلَيهِمْ وتوصيل الخير لهم.

ومِن ذلك: ما يُخبِرُ معاذُ بنُ جَبلٍ في هذا الحديثِ، أنَّ رسولَ اللـهِ أخذَ بِيدِه، أي: أمْسكَها، مُظهِـرًا محبَّتَـه لمعـاذٍ بقولِـه مـرَّتينِ: "يـا مُعاذُ، واللهِ إنِّي لأحِبُّكَ، واللهِ إنِّي لأحِبُّكَ"، وهذا كما أمَرَ النـبيُّ أن يخبِـرَ المـرءُ أخـاهُ أنَّه يحِبُّه في اللـهِ، وفيـه أيضًـا تهيئـةٌ وتَـرغيبٌ لامتثالِ ما سيأتي ذِكرُه بَعدُ.

ثمَّ أوْصى النبيُّ مُعاذًا بقولِـه: "يـا مُعـاذُ، لا تـدَعَنَّ" أي: لا تـترُكنَّ، في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ، أي: آخر كلِّ صَلاةٍ وقُبَيـل السَّـلام من الصـلاة، تقولُ: "اللهُمَّ أعنِّي"، أي: قوِّني وارزُقْني القوَّةَ مِن عندِكَ بشَـرحِ الصَّـدرِ، وتَيسـيرِ الأمـرِ وعُلـوِّ الهِمَّةِ، "على ذِكـركَ"، أي: اجْعَـلِ اللسانِ والقلبَ دائمَي التَّسبيحِ والذِّكر للهِ.

"وشُكرِكَ"؛ أي اجْعلِ القلبَ دائمَ الرِّضا والشكرِ لنِعَمِ اللـهِ عليـهِ، "وحُسنِ عِبادتِكَ"، ومن حُسنِ العِبادةِ: التجرُّدُ عندَ العبادةِ عن كلِّ ما يُشغِلُ عن اللهِ والإخلاصُ فيها.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديث توجيهٌ إلى فضل معاذ وأرضـاه، وأي فضـل أعظم من هذا، أن يبتدئه رسولُ الله بحبه إياه ويحلف على هذا "يا معاذ والله إني لأحبك" فهذه فضيلة ومنقبة ليس فوقها منقبة وفضيلة.

٢- وفيـه توجيـهٌ عمليٌّ إلى الإفصـاح والمصـارحة بالمحبـة بين المسلمين، فمن كان يحب أخاه فليخبره وليعلمه بمحبته ومودته، فهذا يزيد الترابط والأخوة بين المسلمين.

٣- وفيه بيانُ حسن أخلاق الرسـول، وأنـه يحب ملاطفـة أصحابه وإدخال السرور عليهم، ويخبرهم بمحبته لهم.

الحديث السادس عشر

أولًا: نص الحديث

"البخيلُ مَن ذُكِرتُ عندَهُ فلم يصلِّ عليَّ"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه أحمد في المسند، قال:

1736 - حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو، وَأَبُو سَعِيدٍ، قَالا: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلالٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "البخيل من ذكرت عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ"

وأخرجه ابن حبان في صحيحه، قال:

909 - أَخْبَرَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُصْعَبٍ بِسَنْجَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ سِنَانٍ الْقَطَّانُ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ الْعَقَدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلَالٍ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ البخيل من ذكرت عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

لقد حثَّ اللهُ تعالى على الصَّلاةِ والسَّلامِ على النَّبيِّ ‘ فقال: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56]؛ فهي مِن الأُمورِ المهمَّةِ الَّتي يَنبَغي على المُسلِمِ الحِفاظُ عليها، سواءٌ ابتداءً مِنه أو عِندما يَسمَعُ اسمَه؛ حتَّى لا يَدخُلَ في جُملةِ البُخلاءِ، كما يقولُ النبيُّ ‘ في هذا الحديثِ: "البخيلُ"، أي: الكامِلُ في بُخلِه "الَّذي مَن ذُكِرتُ عِندَه فلم يُصلِّ علَيَّ"، أي: ذُكِر النَّبيُّ ‘ في مكانٍ هو فيه، فلم يُبادِرْ فيُصلِّي على النَّبيِّ ‘؛ فهذا هو البخيلُ على الحَقيقةِ.

والصَّلاةُ على النَّبيِّ ‘ مِن العبدِ هي دُعاءُ اللهِ وطلَبُ ثَنائِه على نَبيِّه، وتَكْريمِه، والتَّنويهِ به، ورَفْعِ ذِكْرِه، وزيادةِ حُبِّه، وتقريبِه، وهي مُشتمِلةٌ على الحمدِ والمجدِ للهِ، فكأنَّ المصلِّيَ طلَب مِن اللهِ أن يَزيدَ في حَمْدِه ومَجْدِه، كما أنَّ فيها معنى تَعظيمِ النَّبيِّ ‘

في الدُّنْيا بإعلاءِ ذِكْرِه وإظهارِ دينِه وإبقاءِ شَريعتِه وفي الآخرةِ بإجزالِ مَثوبتِه، وتَشْفيعِه في أمَّتِه وإبداءِ فَضيلتِه بالمقامِ المحمودِ، وهي مع ذلك كلِّه مَثوبةٌ للعبدِ وكفايةٌ لِهَمِّه ورَفعٌ لدرجتِه في الجنَّةِ.

وقدْ عَلَّم النَّبيُّ ‘ أصحابَه كيف يُصلُّون عليه لَمَّا سأَلوه، ومِن أشهَرِ صِيَغِ الصَّلاةِ عليه صيغَتانِ: "اللَّهمَّ صَلِّ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما صلَّيتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ؛ إنَّك حَميدٌ مَجيدٌ. اللَّهمَّ بارِكْ على محمَّدٍ وعلى آلِ محمَّدٍ، كما بارَكْتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ؛ إنَّك حميدٌ مجيدٌ"، والصِّيغةُ الثَّانيةُ: "اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وأزواجِه وذُرِّيَّتِه، كما صلَّيتَ على آلِ إبراهيمَ، وبارِكْ على محمَّدٍ وأزواجِه وذُرِّيَّتِه، كما بارَكْتَ على آلِ إبراهيمَ؛ إنَّك حَميدٌ مَجيدٌ"، وأيُّ لفظٍ أدَّى المرادَ بالصَّلاةِ عليه أجزَأَ، والأَوْلى التَّنويعُ بينَ هذه الصِّيَغِ الواردةِ؛ اتِّباعًا للسُّنَّةِ والشَّريعةِ، ولئلَّا يؤدِّيَ لُزومُ إحدى الصِّيَغِ إلى هَجْرِ الصِّيغِ الأخرى، أمَّا داخِلَ الصَّلاةِ؛ فيُقتصَرُ على المأثورِ الوارِدِ، ولا يَنقُصُ عنه ولا يُزادُ فيه.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديثِ: أهمِّيَّةُ الصَّلاةِ والسَّلامِ على النَّبيِّ ‘ حالَ ذِكْرِه.

٢- وفيه ذمٌّ شديدٌ لمن يترك الصلاة على الرسول ‘ مع قدرته على هذا.

الحديث السابع عشر

أولًا: نص الحديث

"إن من أفضلِ أيَّامِكُم يومَ الجمعةِ فيهِ خُلِقَ آدمُ وفيهِ قُبِضَ وفيـهِ النَّفخةُ وفيهِ الصَّعقةُ فـأكْثِروا عليَّ مِنَ الصَّـلاةِ فيـهِ فـإنَّ صلاتَكُم معروضةٌ عليَّ قالَ قالوا يا رسولَ اللَّهِ وَكَيفَ تُعرَضُ صلاتُنا عليـكَ وقــد أرِمتَ -يقولــونَ بليتَ- فقــالَ إنَّ اللَّهَ ؑ حــرَّمَ علَى الأرضِ أجسادَ الأنبياءِ"

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه أحمد في مسنده، قال:

16162 - حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الْجُعْفِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ أَوْسِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ". فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلَاتُنَا وقد أرمت؟ - يَعْنِي وَقَدْ بَلِيتَ، قَالَ: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ"

ورواه ابن ماجة في سننه، قال:

1085 - حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي الْأَشْعَثِ الصَّنْعَانِيِّ، عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وقد أرمت؟ - يَعْنِي بَلِيتَ - فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

جعل اللهُ تعالى يومَ الجُمُعةِ مِن أفضلِ الأيَّامِ عندَ المسلمين، كما يقولُ النَّبِيُّ ‘ في هذا الحـديثِ: "إنَّ مِن أفضـلِ أيَّامِكم"، أي: مِن

أيَّام أُسبُوعِكم "يـومَ الجُمُعـةِ، فيـه"، أي: في ذلـك اليـومِ "خُلِـق آدَمُ"، وآدمُ ٪ هو أوَّلُ خَلْقِ الله مِن البَشَـرِ، وهـو الَّذِي بـاهَى اللـهُ بِخِلقَتِه ملائكتَه، "وفيه قُبِض"، أي: وفي يـومِ الجُمُعـةِ كـان مـوتُ أبِي البَشَـر. "وفيـه النَّفخَـة"، أي: وفي ذلـك اليـوم يكـونُ النَّفْخُ والصَّعْقُ مَبْدَأُ قيامِ السَّاعة وأهوالِ يومِ القيامةِ؛ يقولُ الله تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّـورِ فَصَـعِقَ مَنْ فِي السَّـمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ} [الزمر: 68]؛ فهُما مُتلازِمان، فإذا نُفِخ في الصُّـور (وهو شيءٌ كالقَرْنِ يُنفَخُ فيه يومَ القيامةِ) تَبِعه على الفَوْرِ الصَّعْقُ (وهو موتُ الناسِ مِن شِدَّةِ الفَزَعِ للصَّوتِ).

وهـذه القضـايا المعـدودةُ في هـذا اليـومِ؛ قِيـل: لم تُـذكَر لبيـانِ فضيلتِها؛ لأنَّ ما وقَع فيه مِن موتِ آدَمَ وما يَقَعُ مِن نَفْخٍ وصَـعْقٍ لا يُعَدُّ مِن الفضائلِ، وإنَّما هو تعظيمٌ لِمَـا وقـع فيـه؛ فـذُكِرَتْ تنويهًـا بعظمةِ الأحـداثِ الـتي وقعتْ فيـه. وقيـل: بـل هي مِن الفضـائل؛ حيث إن خـروجَ آدَم مِن الجنـةِ كـان سـببَ وجـود الذريَّة، وسَـببَ وجودِ الرُّسلِ والأنبياءِ والصَّالِحِين، وقيـامُ السَّـاعةِ سـببٌ لتعجيـلِ جزاءِ الأنبياءِ والصِّدِّيقين والصالِحين وإظهارِ كرامتِهم وشرفِهم.

ثُمَّ قـال النَّبِيُّ ‘: "فـأكثِروا عليَّ مِن الصَّـلاةِ فيـه"، أي: اشْـغَلُوا أنفُسَكم في يـومِ الجُمعـةِ بكَثرةِ الصَّلاة عليَّ؛ حتَّى تنـالوا الأجـرَ والثَّوابَ؛ "فإنَّ صَلاتَكم"، أي: الصَّلاةَ على النَّبيِّ ‘ في ذلك اليـومِ، "معروضـةٌ عليَّ"، أي: سيعرِضُـها اللـهُ عليَّ وسـأعلَمُ بهـا، فقـال الصَّحابةُ €: "يـا رسـولَ اللـه، وكيـف تُعـرَضُ صـلاتُنا عليـك وقـد أَرِمْتَ؟"، أي: بَلِيتَ وفَنِيَ جسدُك، فقال النَّبِيُّ ‘: "إنَّ اللهَ ¸ حـرَّم على الأرضِ"، أي: منَعَها أن تُبلِيَ "أجسـادَ الأنبيـاءِ"، أي: وهُم في قُبورِهم..

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحـديث توجيـهٌ إلى كـثرة الصـلاة والسـلام على سـيدنا رسول الله ‘.

٢- وفيه أن النبي ‘ يسمع كـل من صـلى عليـه في أي سـاعة من ليل أو نهار.

٣- وفيه أن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.

الحديث الثامن عشر

أولاً: نصُّ الحديث:

"أيُّ الناس أحَبُّ إليك؟ قال عائشة"

ثانيًا: تخريجُ الحديث

أخرجه البخاري في صحيحه، قال:

3662 - حَدَّثَنَا مُعَلَّى بْنُ أَسَدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ المُخْتَارِ، قَالَ: خَالِدٌ الحَذَّاءُ، حَدَّثَنَا عَنْ أَبِي عُثْمَانَ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السُّلاَسِلِ، قال: فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ أيُّ الناس أحَبُّ إليك؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا» قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ» فَعَدَّ رجالاً.

ثالثًا: شرح معاني الحديث

قال النووي في شرح صحيح مسلم "هَذَا تَصْرِيحٌ بِعَظِيمِ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَفِيهِ دَلَالَةٌ بَيِّنَةٌ لِأَهْلِ السُّنَّةِ فِي تَفْضِيلِ أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرَ عَلَى جَمِيعِ الصَّحَابَةِ"

قال ابن حجر في فتح الباري "قَوْلُهُ فَقُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَ ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَعَدَّ رِجَالاً زَادَ فِي الْمَغَازِي مِنْ وَجْهٍ آخَرَ فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ وَوَقَعَ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ قُلْتُ لِعَائِشَةَ أَيُّ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِ قَالَتْ أَبُو بَكْرٍ قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَتْ عُمَرُ قُلْتُ ثُمَّ مَنْ قَالَتْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ قُلْتُ ثُمَّ مَنْ فَسَكَتَتْ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ فَيُمْكِنُ أَنْ يُفَسَّرَ بَعْضُ الرِّجَالِ الَّذِينَ أُبْهِمُوا فِي حَدِيثِ الْبَابِ بِأَبِي عُبَيْدَةَ وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا وَهِيَ تَقُولُ وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ عَلِيًّا أحب إليك مِنْ أَبِي الْحَدِيثُ فَيَكُونُ عَلِيٌّ مِمَّنْ أَبْهَمَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَهُوَ أيضًا وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ يُعَارِضُ حَدِيثَ عَمْرٍو لَكِنْ يُرَجَّحُ حَدِيثَ عَمْرٍو أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهَذَا مِنْ تَقْرِيرِهِ وَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِاخْتِلَافِ جِهَةِ

الْمَحَبَّةِ فَيَكُونُ فِي حَقِّ أَبِي بَكْرٍ عَلَى عُمُومِهِ بِخِلَافِ عَلِيٍّ وَيَصِحُّ حِينَئِذٍ دُخُولُهُ فِيمَنْ أَبْهَمَهُ عَمْرٌو وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَقُولَ كَمَا تَقُولُ الرَّافِضَةُ مِنْ إِبْهَامِ عَمْرٍو فِيمَا رَوَى لِمَا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَدْ كَانَ النُّعْمَانُ مَعَ مُعَاوِيَةَ عَلَى عَلِيٍّ وَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ مِنَ التَّحْدِيثِ بِمَنْقَبَةِ عَلِيٍّ وَلاَ ارْتِيَابَ فِي أَنَّ عَمْرًا أَفْضَلُ مِنَ النُّعْمَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"

رابعًا: توجيهات الحديث

١- هذا الحديث أيها الأخ المسلم يَلفِتُك إلى شيء مهم، وهو أنه لا حرج ولا حياء في المجاهرة بمحبتك لزوجتك، وليس هذا من نواقض الرجولة والمروءة، كما يزعم أكثرُ الرجال في هذا العصر، فهذا سيدُ الرجال، يُصَرِّحُ بأن عائشةَ زوجتَه أحبُّ الناس إليه، وحتى حين سُئِل عن أحبِّ الرجال لم يقل أبو بكر، ولكن قال أبوها! فأرجع الجوابَ إلى الجواب الأول! إمعانًا في إكرامها وإشعارًا بشريف منزلتها عنده.

٢- في الحديث تعريفٌ وإشارةٌ إلى فضائل أبي بكر وعمر وعائشة أجمعين.

٣- في الحديث ردٌّ لمذهب الروافض الذين يُزْرُون على أبي بكر وعمر، ويَقلِبون موازين التفضيل بين الصحابة جميعًا، فأسأل الله أن يَرُدَّ كيدَهم، ويَحطِمَ بأسَهم.

الحديث التاسع عشر

أولًا: نص الحديث

يقول عبد الله بن الشِّخِّير ¢: انطلقتُ في وفدِ بني عامرٍ إلى رسولِ اللهِ ‘، فقلنا أنت سيدُنا، فقال "السيدُ اللهُ تبارك وتعالى" قلنا: وأفضلُنا فضلًا وأعظمُنا طولًا، فقال "قولوا بقولِكم، أو بعضِ قولِكم ولا يَسْتَجْرِيَنَّكم الشيطانُ"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه أحمد في مسنده، قال:

16307 - حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنِي شُعْبَةُ، قَالَ: سَمِعْتُ قَتَادَةَ قَالَ سَمِعْتُ مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ الله بْنِ الشِّخِّيرِ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: أَنْتَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "السيد اللهُ" قَالَ: أَنْتَ أَفْضَلُهَا فِيهَا قَوْلاً وَأَعْظَمُهَا فِيهَا طَوْلاً؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لِيَقُلْ أَحَدُكُمْ بِقَوْلِهِ، وَلاَ يَسْتَجِرُّهُ الشَّيْطَانُ"

وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، قال:

245 - أخبرنَا مُحَمَّد بن الْمثنى قَالَ حَدثنَا مُحَمَّد قَالَ حَدثنَا شُعْبَة عَن قَتَادَة قَالَ سَمِعت مطرفاً عَن أَبِيه قَالَ جَاءَ رجل إِلَى النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَقَالَ أَنْت سيد قُرَيْش فقال "السيد الله" قَالَ: أَنْت أفضلنا قولا وأعظمنا فِيهَا طولا قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم "ليقل أحدكُم بقوله وَلاَ يستجرَّه الشَّيْطَان أَو الشَّيَاطِين".

ثالثًا: شرح معاني الحديث

كان الصَّحابةُ € يُحبُّونَ النبيَّ ‘ حبًّا جمًّا ويُعظِّمونَه، وكـان النـبيُّ ‘ يقرُّهم فَقطْ على القَدْرِ الذي يَليقُ به في تَعظيمِهم ومَدْحِهم إيَّاه؛ حتَّى لا يُوقِعَهم الشيطانُ الغُلوِّ وما فيه مُخالَفةٌ ومَعصيَّةٌ.

وفي هذا الحَـديثِ يقـولُ عبـدُ اللـهِ بنُ الشِّـخِّيرِ ¢: "انطلَقْتُ في وفْدِ بَني عامِرٍ إلى رسولِ اللهِ ‘"، أي: قاصِـدينَ ومتـوجِّهينَ إليـه، "فقُلنـا" أي: بعـدَ أنْ وصَـلْنا وقابَلْنـا النـبيَّ ‘ مـادِحينَ لـه: "أنتَ سيِّدُنا"، فقال لهم النبيُّ ‘: "السَّيِّدُ اللهُ تبارَكَ وتعـالى"، أي: الَّذي له السِّيادةُ على الحقيقَةِ هو اللهُ ».

قال عبد اللـه: "فقلنا: وأفْضَـلُنا فضْـلًا"، أي: أعْلانـا رُتبَـةً وشـرَفًا ومزِيَّةً، "وأعْظَمُنا طَوْلًا"، أي: أكثرُنا عَطاءً وعلوًّا ورِفعَةً، فقـال ‘: "قولـوا بقـولِكم"؛ الَّذي قُلتُمـوه، أو "بعْضِ قـولِكم"، أي: اترُكـوا

بعْضًا ممَّا تَقولون؛ لعَدَم المُبالغَةِ في المدْحِ، "ولا يسْتجْرِيَنَّكمُ الشَّيطانُ"، أي: لا يَستعْمِلنَّكم الشَّيطانُ فيما يُريدُ.

قيل: إنَّ تَخصيصَ السِّيادةِ للهِ ۵ في هذا الحَديثِ لا يُنافِي قولَه ‘ في حديثٍ آخَرَ: "أنا سيِّدُ ولدِ آدَمَ، ولا فَخْرَ"، ولا قولَه ‘ لبَني قُريظةَ: "قُوموا إلى سَيِّدِكم" يُريدُ سَعْدَ بنَ مُعاذٍ؛ وذلك أنَّهم كانوا في هذا الوقتِ حَديثِي عَهدٍ بجاهليَّة، وربَّما قَصَدوا بالسِّيادةِ للنبيِّ ‘ بَعضَ المعاني المشترَكةِ في حَقِّ اللهِ تعالى؛ فرَدَّها النبيُّ ‘ لله ۵.

رابعًا: توجيهات الحديث

- في الحديث توجيهٌ إلى حسن التأدب مع رسول الله ‘، وأن الامتثال هو الأدب.
- وفيه نهيٌ عن أن ينجرَّ المرء في كلامه ومدحه وراء الشيطان، فيوقعه في المحظور، أو يؤدي به إلى الغلو والإفراط.
- وفيه شدة تواضع رسول الله ‘ وأنه لم يكن يحب أن يمدحه أحد، ويكفيه مدح الله له واجتباؤه له.

الحديث العشرون

أولًا: نص الحديث

"إنَّما أنا لكم بمَنزِلةِ الوالِـدِ، أُعلِّمُكم، فـإذا أتى أحَـدُكمُ الغائِطَ فلا يَستَقبِلِ القِبلةَ ولا يَستَدبِرْها، ولا يَستَطِبْ بيَمينِه، وكان يأمُرُ بثَلاثةِ أحجارٍ، ويَنهى عنِ الرَّوْثِ والرِّمَّةِ."

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه أبو داود في سننه، قال:

8 - حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ النُّفَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بمنزلة الوالد، أُعَلِّمُكُمْ فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا وَلَا يَسْتَطِبْ بِيَمِينِهِ، وَكَانَ يَأْمُرُ بِثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، وَيَنْهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ»

وأخرجه البغوي في شرح السنة، قال:

173- أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّالِحِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْعَارِفُ، قَالا: أنا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْحِيرِيُّ، نَا أَبُو الْعَبَّاسِ الأَصَمُّ، أنا الرَّبِيعُ، أنا الشَّافِعِيُّ، أنا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ عَجْلانَ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الوالد، فَإِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْغَائِطِ، فَلا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلا يَسْتَدْبِرْهَا لِغَائِطٍ، وَلا بَوْلٍ، وَلْيَسْتَنْجِ بِثَلاثَةِ أَحْجَارٍ».

«وَنَهَى عَنِ الرَّوْثِ وَالرِّمَّةِ، وَأَنْ يَسْتَنْجِيَ الرَّجُلُ بِيَمِينِهِ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

الكَعبـةُ المشـرَّفةُ هي قِبلـةُ المسـلِمين في الصَّـلاةِ، ولهـا مِن القَداسةِ ما يَجعَلُها محَلَّ التَّقديرِ والاحـترامِ في قلبِ كـلِّ مسـلمٍ، ومِن بـابِ التَّوقيـرِ لهـا تَخصيصُ جِهَتِها للصَّلاةِ والـدُّعاءِ والـذِّكرِ، وعدَمُ استقبالِها بما يُستقبَحُ مِن الأفعالِ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ النَّبيُّ ‘ لأصحابِه €: "إنَّما أنا لكم مِثلُ الوالِدِ أُعلِّمُكم"، وفي روايةٍ: "إنَّما أنا لكم بمنزلةِ الوالدِ أُعلِّمُكم"، أي: أعلِّمُكم كما يُعلِّمُ الرَّجلُ أولادَه أمورَ الحياةِ، والمرادُ هنا مِن التَّعليمِ: الجَمعُ بينَ ما يُفيدُهم في الدِّينِ والدُّنيا، "إذا ذهَب أحدُكم إلى الخَلاءِ"، أي: لِيَقضِيَ حاجتَه مِن بَولٍ أو غائطٍ، والخلاءُ: الفضاءُ والأماكنُ الواسعةُ الَّتي لا يُوجدُ بها أحَدٌ، والمرادُ بها هنا: أماكنُ قَضاءِ الحاجةِ، "فلا يَستقبِلِ القِبلةَ ولا يَستدبِرْها"، ببولٍ أو غائطٍ "ولا يَستَنْجِ بيَمينِه"، أي: ولا يُباشِرْ رفْعَ النَّجاسةِ والتَّطهيرَ بيَدِه اليُمنى، بل يَجعَلُ الاستنجاءَ بيَدِه اليُسرى.

قال أبو هُريرةَ ¢: "وكان يَأمُرُ"، أي: النَّبيُّ ‘، "بثلاثةِ أحجارٍ"، أي: ويكونُ الاستنجاءُ بثلاثةِ أحجارٍ، "ونَهَى عن الرَّوْثِ"، وهو فَضلاتُ الدَّوابِّ، "والرِّمَّةِ"، أي: العَظْمِ البالي، والمرادُ: مُطلَقُ العَظْمِ؛ فنَهى النَّبيُّ ‘ عن الاستنجاءِ بهما؛ لِمَا ثبَت في بعضِ الأحاديثِ أنَّهما طعامُ الجنِّ.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديثِ: إشارةٌ إلى حَثِّ الآباءِ على تَعليمِ الأبناءِ ما يَحْتاجون إليه مِن أمورِ الدِّينِ.

٢- وفيه: بِرُّ النَّبيِّ ‘ باتِّباعِ أوامِرِه؛ وذلك لِمَا في قولِه تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: 6].

٣- وفيه: الحَثُّ على تَعظيمِ القِبلةِ، والنَّهيُ عن استِقبالِ القِبلةِ أو استدبارِها ببولٍ أو غائِطٍ.

٤- وفيه: الحثُّ على احترامِ اليَدِ اليُمنَى، والنهيُ عن الاستِنجاءِ بها.

الحديث الحادي والعشرون

أولًا: نص الحديث

أتى النَّبيَّ ‘ رجلٌ فَكَلَّمَهُ، فجَعلَ ترعدُ فرائصُهُ، فقالَ لَهُ "هوِّن عليكَ، فإنِّي لستُ بملِكٍ، إنَّما أنا ابنُ امرأةٍ تأكُلُ القَديدَ"

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه ابن ماجة في سننه، قال:

3312 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَسَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تأكل القديد»

ورواه الطبراني في معجمه الأوسط، قال:

1260 - حَدَّثَنَا أَحْمَدُ قَالَ: نا مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْحِمْصِيُّ قَالَ: نا شُقْرَانُ قَالَ: نا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرٍ، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ رِعْدَةٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، كَانَتْ تأكل القديد»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

كان النَّبيُّ ‘ أحْسنَ الناسِ خُلقًا، ومتَّصِفًا بمكارِمِ الأخلاقِ كلِّها، ومنها التَّواضُعُ والرِّفقُ بالنَّاسِ، والتَّبسُّطُ مع أصحابِه دون تَضييعٍ للهَيبةِ والوَقارِ.

وفي هذا الحديثِ يقولُ أبو مَسعودٍ ¢: "أَتى النَّبيَّ ‘ رجلٌ، فكَلَّمه، فجَعَل تَرْعُدُ فَرائصُه"، أي: تَفْزَعُ وتَرتجِفُ، وهذا كِنايةٌ عن شدَّةِ خوْفِه، و"الفَريصَةُ": اللَّحْمَةُ الَّتي بين الجنبِ والكَتِفِ، فقال له النَّبيُّ ‘ مُطَمْئِنًا: "هَوِّنْ علَيك"، أي: خَفِّفْ عليك الأمرَ ولا تخَفْ؛ "فإنِّي لَسْتُ بمَلِكٍ"، أي: لستُ على صِفَةِ الملوكِ الجبابرَةِ الَّذين يَخافُهم النَّاسُ ويخشَوْنَ بطْشَهم وأذاهم، "إنَّما أنا ابنُ امرأةٍ تأكُلُ القَديدَ"؛ وهو اللَّحمُ المملَّحُ المجفَّفُ في الشَّمسِ، وكانوا يَفعَلون ذلك ليَحفَظوا اللُّحومَ، ووَجْهُ التَّواضُعِ في قولِه: "أنا ابنُ امرأةٍ"؛ لأنَّ هذا حَقيقةُ الأمرِ، وهي أنَّ كلَّ إنسانٍ مَولودٌ مِنَ امْرأةٍ؛ فهو ابنُها، ولكنْ مِن شأنِ المتكبِّرين أحيانًا أنَّهم يأنَفون مِن أنْ يتذَكَّروا

هذه الحَقيقةَ؛ فكان ذِكْرُ النَّبيِّ ‘ لذلكَ تهدئةً وتَأْنيسًا لِلرَّجُلِ، مَع إظْهارِ التَّواضعِ وعَدمِ التجَبُّرِ على النَّاسِ، وفي قولِه: "تأكُلُ القَديدَ"، أنَّهم لم يَكُنْ عِندهم درَجةُ الرَّفاهيةِ الَّتي تكونُ في أبناءِ المُلوكِ؛ فربَّما أكلوا اللَّحمَ المخزَّنَ مِن ذَبائحِهم وليس الطَّازَجَ.

وهذا الكلامُ مِن تواضُعِ النَّبيِّ ‘ مع النَّاسِ، ورِفقِه بهِم كما أمَره اللهُ تعالى فقال: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} [الحجر: 88]، وقال: {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: 215].

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديث بيانُ ما كان عليه رسول الله ‘ وأسرته من الفقر وترك الرفاهية، وأنهم أبعد ما يكون عن أخلاق وصفات الملوك وأهل الترف.

٢- وفيه ما كان عليه النبي الكريم ‰ من التواضع الشديد، مع ما أعطاه ربه من الكرامة والفضل والشرف.

الحديث الثاني والعشرون

أولًا: نص الحديث

"يا أيُّها النَّاسُ إنَّما أنا رحمةٌ مُهداةٌ"

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه الطبراني في المعجم الأوسط، قال:

2981 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْبَصْرِيُّ، وَكِيلُ أَكْثَمَ قَالَ: نا أَبُو الْخَطَّابِ زِيَادُ بْنُ يَحْيَى قَالَ: نا مَالِكُ بْنُ سُعَيْرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ رحمة مهداة»

ورواه الحاكم في المستدرك، قال:

100 ـ حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْمُزَكِّيُّ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ خُزَيْمَةَ، قَالَا: ثنا أَبُو الْخَطَّابِ زِيَادُ بْنُ يَحْيَى الْحَسَّانِيُّ، وَثنا أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، ثنا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادٍ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، قَالَا: ثنا زِيَادُ بْنُ يَحْيَى الْحَسَّانِيُّ، أَنْبَأَ مَالِكُ بْنُ سُعَيْرٍ، ثنا الْأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رحمة مهداة»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

بُعِثَ النبيُّ ‘ ليُخْرِجَ الناسَ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ، فكانَ رحْمةً مُهْداةً للعالَمين، يَحْنو على الكَبيرِ، ويرْحَمُ الصَّغيرَ، ويُواسي الكَسيرَ، يشْعُرُ بمَنْ حوْلَه، ويهْتَمُّ به اهتمامًا بالغًا، ومِن كمالِ رحْمتِهِ ‘ انْسابَتْ من فَمِهِ الشَّريفِ هذه الكلِماتُ التي يقولُ فيها: "إنَّما أنا رَحْمةٌ مُهْداةٌ"، أي: أهْداني اللهُ للناسِ؛ فجَعَلَني سببًا لأنْ يَدْخُلوا في رحْمةِ الحقِّ سُبْحانَهُ، ولأَدُلَّهم على النَّجاةِ، وأُجَنِّبَهم مَسالِكَ الهلاكِ؛ فمَنْ قَبِلَ رحْمةَ اللهِ وهَديَّته فازَ وأفْلَحَ، ومَنْ رَدَّها خابَ وخَسِرَ، وقدْ ثَبَتَ أنَّه رحْمةٌ حتى للكافِرينَ؛ فإنَّهم لا يُعذَّبون وهو بين أظْهُرِهم كما قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} [الأنفال: 33]،كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]، والرَّحمةُ: اللُّطْفُ والرَّأفةُ والإشْفاقُ، هذا بالإضافَةِ إلى أنَّه ‘ كان بالمُؤْمِنينَ رحيمًا؛ فعمومُ العالَمين حصَلَ لهم النفعُ برسالتِه؛ فأتْباعُه نالوا به كرامةَ الدُّنيا والآخِرَة، والمحارِبون له تعجيلُ موتِهم خيرٌ لهم مِن طولِ أعمارِهم في الكُفرِ، والمعاهِدونَ له عاشوا في الدُّنيا تحتَ ظِلِّه وعهدِه وذِمَّتِه، والمنافِقون حصَلَ لهم بإظهارِ الإيمانِ به حَقنُ دِمائِهم وأموالِهم وأهلِهم وجرَتْ أحكامُ المُسلِمينَ عليهم، والأممُ البَعيدةُ عنه رُفِعَ عنها بسببِه العذابُ العامُّ عن أهل الأرضِ؛ فكان رَحْمةً مُهداةً ‘ .

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديثِ فضيلة من فضائل رسول الله ‘، وهو أنه مبعوث ليرحم الله به الناس جميعًا، بل هو هدية غالية كريمة من الخالق إلى البشرية.

٢- وفيه أنه ‘ سببٌ إلى رحمة كثير من المسلمين في الآخرة ونجاتهم من النار.

الحديث الثالث والعشرون

أولًا: نص الحديث

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ f، قَالَ: إنِّي لَوَاقِفٌ في قَوْمٍ، فَدَعَوُا اللَّهَ لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وقدْ وُضِعَ علَى سَرِيرِهِ، إذَا رَجُلٌ مِن خَلْفِي قدْ وضَعَ مِرْفَقَهُ علَى مَنْكِبِي، يقولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، إنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مع صَاحِبَيْكَ؛ لأنِّي كَثِيرًا ما كُنْتُ أسْمَعُ رَسولَ اللَّهِ ‘ يقولُ: كُنْتُ وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ، وفَعَلْتُ وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ، وانْطَلَقْتُ وأَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ، فإنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ معهُمَا، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هو عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ.

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البخاري في الصحيح، قال:

3677 - حَدَّثَنِي الوَلِيدُ بْنُ صَالِحٍ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ أَبِي الحُسَيْنِ المَكِّيُّ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: إِنِّي لَوَاقِفٌ فِي قَوْمٍ، فَدَعَوُا اللَّهَ لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، وَقَدْ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ، إِذَا رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي قَدْ وَضَعَ مِرْفَقَهُ عَلَى مَنْكِبِي، يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، لِأَنِّي كَثِيرًا مَا كُنْتُ أَسْمَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُنْتُ وأبو بكر وعمر، وفعلت وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَانْطَلَقْتُ وَأَبُو بَكْرٍ وعمر» فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ.

ثالثًا: شرح معاني الحديث

في هذا الحَديثِ رَدٌّ على ضَلالِ الشِّيعةِ الرَّوافِضِ الَّذين اختَلَقوا الأكاذيبَ، وادَّعَوْا حُبَّ عليٍّ وآلِ البَيتِ، وبُغضَ عُمَرَ، وأبي بَكرٍ، وأصْحابِه ‘؛ بدَعْوى كُرْهِهم لآلِ البَيتِ، وقدْ كَذَبوا وضَلُّوا؛ فقدْ كان أصْحابُ النَّبيِّ ‘ كالبُنْيانِ المَرْصوصِ، يشُدُّ بعضُه بعضًا، ولو جَرى بيْنَهم مِثلُ ما جَرى بيْن البَشرِ.

وفي هذا الحَديثِ بَيانُ ما كان عليه عَليُّ بنُ أبي طالبٍ ¢ مِن حِفظِ حقِّ عُمَرَ، ومَعرِفةِ فَضْلِه؛ فإنَّه -كما يَرْوي عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ ƒ- جاء وهو واقفٌ على عُمَرَ حينَ مَوتِه، وقدْ وُضِعَ على سَريرِه، أي: على نَعشِه، فوضَعَ عَليٌّ مِرفَقَه على كَتِفِ ابنِ عبَّاسٍ، ودَعا لعُمَرَ بنِ الخطَّابِ وقال: رَحِمكَ اللهُ؛ إنِّي كُنتُ لَأرْجو أنْ يَجعَلَكَ اللهُ مع صاحِبَيكَ، يَعني: كُنتُ أتوَقَّعُ أنْ تُدفَنَ معَ صاحِبَيكَ: النَّبيِّ ‘، وأبي بَكرٍ ¢؛ لِأنِّي كَثيرًا ما كُنتُ أسمَعُ رَسولَ اللهِ ‘ يَقولُ: «كنتُ وأبو بَكرٍ وعُمَرُ، وفَعلْتُ وأبو بَكرٍ وعُمَرُ، وانطَلَقْتُ وأبو بَكرٍ وعُمَرُ»، يَعني: كُنتُ أظُنُّ ذلك لمُلازَمتِكَ لهما في حَياتِهما.

فرَضيَ اللهُ عن عُمَرَ، وأبي بَكرٍ، وعلِيٍّ، وآلِ البَيتِ، وسائرِ أصْحابِ النَّبيِّ ‘، اللَّهمَّ اجْعَلْنا معَهم في جنَّتِكَ بلُطفِكَ ورَحمَتِكَ يا أرحَمَ الرَّاحِمينَ.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديث بيان ما كان عليه أصحابُ رسول الله ‘ وآلُ بيته من المحبة والإخاء وحفظ الحقوق.

٢- وفيه بيان المنزلة العظيمة العالية لأبي بكر وعمر ƒ في حياة الرسول ‘.

٣- وفيه أن النبي ‰ كان مرتبطًا ارتباطًا شديدًا بالشيخين أبي بكر وعمر، حتى أنه كان كثيرًا ما يقول "دخلتُ أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر إلخ".

الحديث الرابع والعشرون

أولاً: نص الحديث

"من أَشَدِّ أُمَّتي لي حُبًّا ناسٌ يكونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أحدُهُمْ لَوْ يُعْطِي أَهْلَهُ ومالهُ بِأنْ يَرَانِيَ"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه مسلم في صحيحه، قال:

(2832) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ يَعْنِي ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ سُهَيْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ"

وأخرجه أحمد في مسنده، قال:

21385 - حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ يَحْيَى، حَدَّثَنِي أَبُو صَالِحٍ، عَنْ رَجُلٍ، من بَنِي أَسَدٍ، وَيَعْلَى، حَدَّثَنَا يَحْيَى، عَنْ ذَكْوَانَ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ بَنِي أَسَدٍ، أَنَّ أَبَا ذَرٍّ، أَخْبَرَهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: "أشد أمتي لي حبا قَوْمٌ يَكُونُونَ، أَوْ يَخْرُجُونَ، بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ أَعْطَى أَهْلَهُ وَمَالَهُ وَأَنَّهُ رَآنِي"

ثالثًا: شرح معاني الحديث

قال الشيخ السقاف:

حُبُّ النَّبيِّ مِن أعظَمِ مَظاهِرِ الإيمانِ، وقدْ حثَّ الشَّرعُ عليه ورغَّبَ فيه تَرغيبًا أكيدًا، ويَختلِفُ المسْلِمون في دَرَجةِ مَحبَّتِهم له باختلافِ دَرَجةِ إيمانِهم وطاعاتِهم، فكلَّما زادَ اتِّباعُ المسْلمِ لنَبيِّه ولِسُنَّتِه دلَّ ذلك على زِيادةِ مَحبَّتِه له، وعلى زِيادةِ إيمانِه كذلك.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ أنَّ مِن أَشدِّ النَّاسِ حُبًّا له، ناسٌ يَكونون ويُوجَدون بعْدَ زمَنِ وَفاتِه، ويَشمَلُ هذا كلَّ مَن قَرُب أو بَعُد زَمانُه عن زمَنِ النَّبيِّ، يَتمنَّى أحدُهم ويُحِبُّ أنْ يَرى النَّبيَّ ويَنالَ شَرَفَ رُؤيتِه، وَلو كان ذلك في مُقابلَةِ أنْ يَفْقِدَ أَهْلَه ومالَه؛ فيُؤثِرُ رُؤيتَه للنَّبيِّ على أهْلِه ومالِه لقوَّةِ إيمانِه بالنَّبيِّ في قُلوبِهم،

ولشِدَّةِ مَحبَّتِه له؛ وذلك أنَّ المُؤمنين مِن أمَّته حقًّا إذا ذُكِر لهم النَّبيُّ ومَقاماتُه وحُروبُه وضِيقُ العَيشِ الَّذي أصابَه وغيرُ ذلك؛ فإنَّهم يَودُّون أنَّهم لو كان قد رَأَوْه ففازُوا بنَصْرِهم له في الحربِ، ومُواساتِهم له في الشِّدَّةِ، أو التَّعلُّمِ منه وسُؤالِه، أو التَّبرُّكِ برُؤيتِه، وغيرِ ذلك ممَّا فاز به الصَّحابةُ دون غيرِهم.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديثِ: فَضلُ تَمنِّي رُؤيةِ النَّبيِّ بعْدَ مَوتِه، وفَضلُ بَعضِ مَن يَأتي بعْدَ رَسولِ اللهِ ومَدى تَعلُّقِ قُلوبِهم به، وأنَّ ذلك دَليلٌ على صِدقِ مَحبَّتِه، وشِدَّتِها.

٢- وفيه: بَيانُ فضْلِ رُؤيتِه وعَظيمِ مَنزلتِها، وأنَّها أعظَمُ وأجَلُّ ممَّا يُعطاهُ الإنسانُ مِن الأهلِ والمالِ وغيرِ ذلكَ مِن أصنافِ نَعيمِ الدُّنيا؛ لأنَّ هذه الأشياءَ نِعَمٌ فانيةٌ زائلةٌ، وأمَّا رُؤيتُه ففيها الفوزُ الدَّائمُ، والنَّعيمُ المقيمُ؛ لأنَّها مُوصِلةٌ إلى الجنَّةِ.

٣- وفيه: دَليلٌ مِن أدلَّةِ صِدقِ النَّبيِّ؛ إذْ قدْ ظَهَر ذلك للعِيانِ كَثيرًا، ووُجِد هذا الصِّنفُ مِن النَّاسِ بعْدَ وَفاةِ النَّبيِّ إلى يَومِنا هذا.

الحديث الخامس والعشرون

أولًا: نص الحديث

"أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه البخاري في صحيحه، قال:

2864 - حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ، حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ يُوسُفَ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، قَالَ رَجُلٌ لِلْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ قَالَ: لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَفِرَّ، إِنَّ هَوَازِنَ كَانُوا قَوْمًا رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا لَقِينَاهُمْ حَمَلْنَا عَلَيْهِمْ، فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ المُسْلِمُونَ عَلَى الغَنَائِمِ، وَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَفِرَّ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ البَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا

سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «أَنَا النبي لا كذب، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

كان النَّبيُّ ' أشجَعَ النَّاسِ، وكان أصحابُه رِضوانُ اللهِ عليهم خَيرَ الفُرسانِ، وأصبَرَهم عِندَ لِقاءِ العَدُوِّ.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ التَّابِعيُّ أبو إسحاقَ عَمرُو بنُ عَبدِ اللهِ السَّبيعيُّ أنَّه لَمَّا سَأَلَ رَجُلٌ اسمُه قَيسٌ مازِحًا -كما في رِوايةِ أحمَدَ- البَراءَ بنَ عازِبٍ ¢، فقال له: أفَرَرتُم يا أبا عُمارةَ -وهي كُنيةُ البَراءِ- في غَزوةِ حُنَينٍ؟ وكانَتْ سَنةَ ثَمانٍ مِنَ الهِجرةِ، وحُنَيْنٌ وادٍ إلى جَنبِ ذي المَجازِ، قَريبٌ مِنَ الطَّائِفِ، وبيْنه وبيْنَ مَكَّةَ بِضعةَ عَشَرَ مِيلًا مِن جِهةِ الشَّرائِعِ والسَّيلِ الكَبيرِ، وقِيلَ: سُمِّيَ حُنَينًا؛ نِسبَةً إلى رَجُلٍ يُدعى حُنَينَ بنَ قابِثةَ.

وكان السُّؤالُ على الإطلاقِ بما يَشمَلُ رَسولَ اللهِ '، فأقسَمَ البَراءُ ¢ أنَّ رَسولَ اللهِ ' ما فَرَّ ولا هَرَبَ، ولكِنَّه خَرَجَ شُبَّانُ أصحابِه وأخِفَّاؤُهم حُسَّرًا لا يَحمِلونَ سِلاحًا، ولا يَستَتِرونَ بدِرعٍ أو غَيرِها، فلَمَّا أتَوْا جَماعةً مِن قَبيلةِ هَوازِنَ وبَني نَصرِ بنِ مُعاويةَ، وهُما مِن قَبائِلِ العَرَبِ، وكانوا يُجيدونَ الرَّميَ بالنَّبْلِ والسِّهامِ، فلا يَكادُ يَسقُطُ لهم سَهمٌ دُونَ إصابةِ هَدَفِه، فرَشَقُوا أصحابَ النَّبيِّ ' غَيرَ المُتجَهِّزينَ بالسِّلاحِ، فتَراجَعُوا، والنَّبيُّ ' راكِبٌ بَغلَتَه البَيضاءَ، يَقودُها ابنُ عَمِّه أبو سُفيانَ بنُ الحارِثِ بنِ عَبدِ المُطَّلِبِ ¢، فنَزَلَ النَّبيُّ ' مِن فَوقِ بَغْلَتِه، وطَلَبَ النَّصرَ مِنَ اللهِ تَعالى، وتَضَرَّعَ له، وظَلَّ يَقولُ: «أنا النَّبيُّ لا كَذِبْ»، أي: فلَستُ بكاذِبٍ في قَوْلي حتَّى أفِرَّ، «أنا ابنُ عَبدِ المُطَّلِبْ» فانتسَبَ إلى جَدِّه لشُهرَتِه به، ثمَّ صَفَّ أصحابَه ورَتَّبَ صُفوفَهم؛ لِيَعودوا إلى القِتالِ، وقاتَلَ رَسولُ اللهِ ' وأصحابُه حتى انهَزَمَ المُشرِكونَ، وغَنِمَ رَسولُ اللهِ ' منهم غَنائِمَ كَثيرةً.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديثِ: التَّضرُّعُ إلى اللهِ تعالَى وقْتَ الشَّدائدِ.

٢- وفيه أن رسول الله ‘ أشجع الناس وأشدهم بأسًا وقتالًا.

٣- وفيه أن النسبة إلى جد شريف الخصال مدعاة إلى الافتخار.

٤- وفيه أن الرسول ‰ كان عند الفزع يلجأ إلى الله ¸، وكان يؤكد عند البأس منزلة النبوة، وأن الله ناصره لا محالة.

الحديث السادس والعشرون

أولًا: نص الحديث

"إنَّ اللَّهَ اصطَفى من ولدِ إبراهيمَ بني إسماعيلَ واصطفى كنانةَ من بني إسماعيلَ واصطفى قُريشًا من كنانةَ واصطفى بني هاشمٍ من قريشٍ واصطفاني من بني هاشمٍ"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه مسلم في الصحيح، قال:

(2276) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرحمن بْنِ سَهْمٍ، جَمِيعًا عَنِ الْوَلِيدِ، قَالَ ابْنُ مِهْرَانَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ شَدَّادٍ، أَنَّهُ سَمِعَ وَاثِلَةَ بْنَ الْأَسْقَعِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اصطفى كِنَانَةَ من ولد إِسْمَاعِيلَ، واصطفى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»

وأخرجه الترمذي في السنن، قال:

3605 - حَدَّثَنَا خَلَّادُ بْنُ أَسْلَمَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُصْعَبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، عَنْ أَبِي عَمَّارٍ، عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ اصطفى من ولد إِبْرَاهِيمَ، إِسْمَاعِيلَ، واصطفى مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

النبيُّ ‘ أفضلُ الخلقِ نَفْسًا، وأفضَلُهم نسَبًا؛ اصطفاه اللهُ تعالى مِن أشرَفِ الأنسابِ وأكرَمِها، كما يقولُ النَّبيُّ ‘ في هذا الحديثِ: "إنَّ اللهَ اصطَفى"، أي: اختار "مِن ولَدِ إبراهيمَ إسماعيلَ"، أي: إنَّ اللهَ اصطفى مِن ذُرِّيَّةِ إبراهيمَ ’، ولَدَه إسماعيلَ وكان رسولًا نبيًّا، "واصطفى"، واختار "مِن ولَدِ إسماعيلَ"، أي: مِن ذُرِّيَّةِ إسماعيلَ "بَني كِنانةَ"، وهم قَبائلُ أبوهم كِنانةُ بنُ خُزيمةَ، "واصطفى مِن بَني كِنانةَ قُريشًا"، أي: واختار اللهُ مِن قَبائلِ كِنانةَ قَبيلةَ قُريشٍ"، وهم أبناءُ نَضْرِ بنِ كِنانةَ، كانوا قد اختَلَفوا في البِلادِ، فجمَعهم قُصيُّ بنُ كِلابٍ في مَكَّةَ؛ ولذلك سُمُّوا قُريشًا، مِن التَّقريشِ، وهو الجمعُ؛ لأنَّه جمَعَهم، ومعنى الاختيارِ والاصطِفاءِ باعتبارِ خِصالِهم الحَميدةِ وكريمِ أخلاقِهم، ثمَّ قال النَّبيُّ ‘: "واصطفى"، أي: واختار "مِن قُريشٍ"، أي: مِن قَبليةِ قُريشٍ "بَني هاشمٍ"، أي: إنَّ بَني هاشمٍ هم أفضلُ أبناءِ قُريشٍ، ثمَّ قال النَّبيُّ ‘ "واصطَفاني"، أي: إنَّ اللهَ اختارَني "مِن بَني هاشمٍ"؛ فالنَّبيُّ ‘ مِن خِيارِ قُريشٍ، ثمَّ مِن خِيارِ الهاشِميِّين، فهو ‘ خيارٌ مِن خيارِ مِن خِيارٍ، ‘.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديثِ: أنَّ النُّبوَّةَ اصطِفاءٌ مِن اللهِ تعالى لخَيرِ البشَرِ.

٢- وفيه: أنَّ أبناءَ إسماعيلَ هم صَفوةُ ولَدِ إبراهيمَ ’.

٣- وفيه: أنَّ بَني هاشمٍ أشرَفُ بيتٍ في قُريشٍ.

٤- وفيه أن محمدًا ‘ مختارٌ بعلم الله وخبرته بخلقه، فالله نظر في قلوب العباد جميعًا، فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لرسالته.

٥- وفيه أن رسول الله ‘ هو أفضل الخلائق جميعًا بلا استثناء.

الحديث السابع والعشرون

أولًا: نص الحديث

"والله إنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وأَتُـوبُ إلَيْـهِ في اليَـومِ أكْثَـرَ مِن سَـبْعِينَ مَرَّةً."

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه البخاري في صحيحه، قال:

6307 - حَدَّثَنَا أَبُو اليَمَانِ، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وأتوب إليه فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»

ورواه أحمد في مسنده، قال:

7793 - حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ: عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً، وأتوب إليه"

ثالثًا: شرح معاني الحديث

من لُطفِ اللهِ ¸ بعِبادِه أنْ يَسَّـرَ لهمْ أبـوابَ التَّوبـةِ، والاسـتغفارَ. وفي هذا الحديثِ يُقسِمُ رَسولُ اللـهِ ' -وهـو الصَّـادقُ المصْـدوقُ- أنَّه يَتُوبُ إلى اللهِ تعـالَى ويَسـتغفِرُه في اليـومِ أكـثرَ مِن سَـبعينَ مرَّةً، مع أنَّه المعصومُ مِن ربِّ العـالَمِين؛ وذلـك تَشـريعًا وتَعليمًـا لأُمَّتِه صَلواتُ ربِّي وسَلامُه عليه، وطَلَبًا لفضْلِ اللهِ تعالَى وكَرَمِـه. والقَسَمُ لتَأكيدِ الخَبَرِ، وإنْ لم يكُنْ عندَ السَّامِعِ فيه شكٌّ.

وجاء عنه ' -كما في صَـحيحِ مُسـلِمٍ-: «يـا أيُّهـا النَّاسُ، تُوبُـوا إلى اللهِ واستَغْفِروه؛ فإنِّي أتوبُ في اليومِ مِائَةَ مَرَّةٍ»، فالعددُ: المرادُ مِنه الإشارةُ للكثرةِ وليس المرادُ الحَصرَ فيه، واللهُ أعلَمُ، وظاهِرُ الكَلامِ أنَّه ' يَطلُبُ المَغفرةَ ويَعزِمُ على التَّوْبةِ، بأيِّ صِـيغةٍ كـانت، ويَحتمِلُ أنْ يكونَ المرادُ قـولَ هـذا اللَّفـظِ بعَينِـه: «أسْـتَغفِرُ اللـهَ وأتوبُ إليه».

وقال النووي في شرح صـحيح مسـلم "وَفِي قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْتَغْفِرُكَ وأتوب إِلَيْكَ حُجَّةٌ أَنَّهُ يَجُوزُ بَلْ يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ كَرَاهَتُهُ لِئَلَّا يَكُونَ

كَاذِبًا قَالَ بَلْ يَقُولُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ مِنْ قَوْلِهِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ حَسَنٌ لاَ شَكَّ فِيهِ وَأَمَّا كَرَاهَةُ قَوْلِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إليه فَلاَ يُوَافِقُ عَلَيْهَا وَقَدْ ذَكَرْتُ الْمَسْأَلَةَ بِدَلاَئِلِهَا فِي بَابِ الاِسْتِغْفَارِ مِنْ كِتَابِ الأَذْكَارِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَأَمَّا اسْتِغْفَارُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ مَعَ أَنَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ فَهُوَ مِنْ بَابِ الْعُبُودِيَّةِ وَالإِذْعَانِ وَالاِفْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ."

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديث توجيهٌ إلى كثرة الاستغفار والتوبة إلى الله ¸.

٢- وفيه كمالُ عبودية النبي ' وتمامُ افتقاره إلى الله ¸، فهو مع كونه مغفورًا له كلَّ شيء إلا أنه يمارس جميعَ أنواع العبودية، حتى التوبة والاستغفار.

٣- وفيه بيان القدوة والأسوة برسول الله، فنحن أولى بكثرة التوبة والاستغفار.

الحديث الثامن والعشرون

أولًا: نص الحديث

قال أبو بكر ¢: قلتُ للنَّبيِّ ' وأَنَا في الغَارِ: لو أنَّ أحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: "ما ظَنُّكَ يا أبَا بَكْرٍ باثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟!"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البخاري في صحيحه، قال:

3653 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَانٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثالثهما»

وأخرجه مسلم في صحيحه، قال:

(2381) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّارِمِيُّ - قَالَ عَبْدُ الله، أَخْبَرَنَا وقَالَ الْآخَرَانِ: حَدَّثَنَا - حَبَّانُ بْنُ هِلاَلٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ، حَدَّثَهُ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُءُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثالثهما»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

من اعتَصمَ باللهِ تعالَى كَفاه عمَّن سِواه؛ فهو نِعمَ النَّاصرُ، ونِعمَ المُعينُ، ومَعيَّتُه تعالَى هي المَعيَّةُ الحَقيقيَّةُ، وما سِواها مَعيَّةٌ كاذِبةٌ زائفةٌ، وكان ' إمامَ المُتوكِّلينَ على اللهِ تعالَى، يَعلَمُ أنَّه ناصِرٌ عبْدَه، وأنَّه معَه بنَصْرِه وقُدْرتِه وحِمايتِه في كلِّ وَقتٍ وحِينٍ.

وفي هذا الحَديثِ يَرْوي أبو بَكرٍ الصِّدِّيقُ ¢ أنَّه لَمَّا اقتَرَبَ المُشرِكونَ مِن النَّبيِّ ' وأبي بَكرٍ ¢، وهما في غارِ ثَورٍ أثْناءَ هِجرَتِهما إلى المَدينةِ، وخَشيَ أبو بَكرٍ ¢ مِن رُؤْيتِهما لهما لقُربِهما الشَّديدِ؛ قال للنَّبيِّ ': «لو أنَّ أحَدَهم نَظَرَ تحْتَ قدَمَيْه لَأبْصَرَنا»، فقال له ': «ما ظنُّكَ يا أبا بَكرٍ باثْنَينِ اللهُ ثالثُهما؟!» أي: ما تظُنُّ أنْ يكونَ حالُنا واللهُ تعالَى معَنا بنَصْرِه ولُطفِهِ؟! فإنَّه قادرٌ على صَرْفِهم عنَّا، وتَبليغِنا مُرادَنا بفَضلِه ورَحمتِه، وهذا ما حصَل، فنِعمَ حُسنُ الظَّنِّ برَبِّ السَّمَواتِ ورَبِّ الأرضِ ربِّ العَرشِ العَظيمِ! وقد أشارَ القُرآنُ إلى ذلك في قولِه تعالَى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: 40].

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَديثِ: كَمالُ تَوكُّلِ النَّبيِّ على رَبِّه، واعْتِمادِه عليه، وتَفْويضِه أمْرَه إليه.

٢- وفيه: مَنقَبةٌ ظاهِرةٌ لأبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ ¢.

٣- وفيه: الفِرارُ بالدِّينِ خَوفًا مِن العَدوِّ، ولا يُلْقي الإنْسانُ بيَدِه إلى العَدوِّ؛ تَوكُّلًا على اللهِ تعالَى، واستِسْلامًا له، ولو شاءَ اللهُ

لَعصَمَ رَسولَه ‘، معَ كَونِه معَهم، ولكنَّها سُنَّةُ اللهِ في الأنْبياءِ وغَيرِهم، ولنْ تَجِدَ لسُنَّةِ اللهِ تَبْديلًا.

الحديث التاسع والعشرون

أولًا: نص الحديث

إنَّ النبي ‘ أُتِيَ بالبراقِ ليلةَ أسري بِهِ ملجمًا مسرجًا فاستصعبَ عليْهِ فقالَ لَهُ جبريلُ "أبمحمَّدٍ تفعلُ هذا؟ فما رَكبَكَ أحدٌ أكرمُ على اللَّهِ منْهُ" فارفضَّ عرقًا.

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه أحمد في المسند، قال:

12672 - حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُسَرَّجًا مُلَجَّمًا لِيَرْكَبَهُ، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا؟ فَوَاللهِ مَا رَكِبَكَ أَحَدٌ قَطُّ أَكْرَمُ عَلَى اللهِ مِنْهُ، فارفض عرقا.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه، قال:

46 - أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَبَّاسِ السَّامِيُّ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَنْبَأَنَا مَعْمَرٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بالبراق ليلةأسري بِهِ مُسْرَجًا مُلْجَمًا لِيَرْكَبَهُ فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى هَذَا فَوَاللَّهِ مَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ قال فارفض عرقا"

ثالثًا: شرح معاني الحديث

البُراقُ هو الدَّابَّةُ الَّتي أُسرِي بالنَّبيِّ ‘ عليها من مكَّةَ إلى بيتِ المَقدِسِ، وهو عِبارةٌ عن دابَّةٍ أقلَّ في حَجمِها مِن البَغلِ وأعلى مِن الحمارِ، خُطْوتُه عندَ أقصى مُنتَهى بَصرِه، وفي هذا الحديثِ: "أنَّ النَّبيَّ ‘ أُتِي بالبُراقِ ليلةَ أُسرِيَ به مُلجَمًا"، واللِّجامُ: ما يُوضَعُ في فَمِ الدَّابَّةِ لِتُقادَ به، "مُسْرَجًا"، والسَّرجُ: ما يوضَعُ على الدَّابَّةِ مِن فَرشٍ لِيَجلِسَ عليه الرَّاكِبُ، "فاستَصعَبَ عليه"، أي: استَعْصى البُراقُ فلم يُمكِّنِ النَّبيَّ ‘ مِن رُكوبِه؛ قيل: في سَبَبِ

نُفرةِ الْبُراقِ واستِصْعابِه: أنَّه فعَل ذلك لِبُعدِ عَهـدِه بالأنبيـاءِ عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَطولِ الفترةِ بَين عِيسَى وَمُحَمَّدٍ، عَلَيهما الصَّلاةُ والسَّـلامُ، وقيـلَ: قـال جِبْريل ' للنَّبيِّ ' حِين شَـمَس البُـراقُ- أي: منَع ظَهْرَه-: لَعَلَّك يا مُحَمَّدُ مَسِستَ الصَّفْراءَ اليَومَ، يَعْني: الذَّهَبَ فأخبَرَ النَّبِيُّ ' أنَّه مَا مَسَّها إلَّا أَنَّه مـرَّ بهـا، فقـال: تَبًّا لِمَن يَعبُـدُك مِن دونِ اللهِ، وما شمَس إلَّا لذَلِك.

فقـال جبريـلُ ' للبُـراقِ: "أبِمُحمَّدٍ تَفعَـلُ هـذا؟"، أي: يُنكِـرُ على البُراقِ ما يَفعَلُه، ويُـبيِّنُ لـه قـدْرَ النَّبيِّ '، قـائلًا: "فمـا رَكِبـك أحـدٌ أكرَمَ على اللهِ مِنه"، أي: إنَّه أعلى البشَرِ قدرًا عِنـدَ اللـهِ ¸، قـال النَّبيُّ ': "فـارْفَضَّ عرَقًـا"، أي: انصَـبَّ عـرَقُ الـبراقِ منـه إجلالًا وإكبـارًا لِمَقـامِ النَّبيِّ '، وقيـل: إنَّ العَـرقَ كـان مِن البُـراقِ؛ لأنَّ استِصْعابَه كان اهْتِزازًا صدَرَ عنه فَرَحًا، وظنَّ جبريلُ أنَّه وقَـعَ منـه اسْتِعْصَاءً؛ ولذلك ارفَضَّ البُراقُ عَرقًا.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحـديثِ: مُعجـزةٌ مِن مُعجـزاتِ النَّبيِّ '، وبيـانُ فَضـلِه وكرامتِه عِندَ اللهِ تعالى.

٢- وفيه أنه حتى الحيوانات تشعر بعظمة رسول الله '، وتستحيي منه، وتعرف قدره ومكانته.

الحديث الثلاثون

أولًا: نص الحديث

قالت عائشة ~: ما كانَ رسـولُ اللَّهِ يزيـدُ في رمضـانَ ولا غـيرِهِ على إحـدى عشـرةَ رَكعـةً يصـلِّي أربعًـا فلا تسـأل عن حسـنِهِنَّ وطولِهِنَّ ثمَّ يصلِّي أربعًا فلا تسأل عن حسنِهنَّ وطولِهنَّ ثمَّ يصلِّي ثلاثًا قالت عائشةُ فقلتُ يا رسولَ اللَّهِ أتنامُ قبلَ أن توترَ قـالَ "يـا عائشةُ إنَّ عيني تنامُ ولا ينامُ قلبي"

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه البخاري في الصحيح، قال:

1147 ـ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مَالِكٌ، عن سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ المَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنها، كَيْفَ كَانَتْ صَلاَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ؟ فَقَالَتْ: «مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسَلْ عَنْ حسنهن وطولهن، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا»

ورواه مسلم في الصحيح، قال:

(738) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ، عن سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ، كَيْفَ كَانَتْ صَلاَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ: مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ، وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حسنهن وطولهن، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا، فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثًا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ، وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

كان الصَّحابةُ € والتابِعون حَريصينَ على الْتِزامِ هَدْيِ النبيِّ ' في جَميعِ أقوالِه وأفعالِه، ومِن ثَمَّ كانوا يَسألون عمَّا خَفِيَ عنهم، ومِن ذلك هَدْيُه ' في قِيامِ اللَّيلِ.

وفي هذا الحَديثِ يَسألُ التابعيُّ أبو سَلَمةَ بنُ عبدِ الرَّحمنِ أمَّ المؤمنينَ عائِشةَ ~ عن صَلاةِ النبيِّ ' في قِيامِ اللَّيلِ في رَمَضانَ، فأخبَرَتْه أنَّه ' كان يُصلِّي إحدى عَشْرةَ رَكْعةً، وكان لا يَزيدُ عليها في رمضانَ ولا غَيرِه مِن الشُّهورِ؛ فأحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ ما داوَمَ عليه صاحِبُه، وفي الصَّحيحَينِ عن أمِّ المؤمنينَ عائشةَ ~: «أنَّ النبيَّ ' كانَ يُصَلِّي مِن اللَّيلِ ثَلاثَ عشْرةَ رَكعةً، مِنها الوِترُ، ورَكعتَا الفَجرِ»؛ فأفْهَمتْ هذِه الرِّوايةُ وأمثالُها أنَّ مَن قال: «إحْدَى عَشْرةَ» لم يَحسُبْ رَكعتَيْ سُنَّةِ الفَجرِ.

وقد ورَدَ عنه ' في عَدَدِ ركعاتِ القِيامِ غيرُ ذلك، ومِن ذلـك رِوايـةُ البخاريِّ: سُئِلَت أمُّ المؤمنينَ عائشةُ ~ عن صَـلاةِ رَسـولِ اللـهِ ' باللَّيـلِ، فقـالت: «سَـبْعٌ، وتِسـعٌ، وإحـدى عَشْـرةَ، سِـوى رَكعتَيِ الفَجرِ»، وهذا الاختلافُ مَحمولٌ على اختلافِ الأوقاتِ والأحوالِ.

ثُمَّ تَصِفُ أمُّ المؤمنينَ عائِشةُ ~ صِفةَ صَلاةِ النبيِّ ' في اللَّيلِ بأنَّه كان يُصلِّي أربعًا، فلا تَسألْ عن حُسنِهنَّ وطُولِهنَّ، ثمَّ يُصلِّي أربعًا، فلا تَسـأَلْ عن حُسـنِهنَّ وطُـولِهنَّ؛ فصَـلاتُه كـانت في النِّهـايـةِ مِن كَمالِ الحُسنِ والطُّولِ، حتَّى إنَّ صَلاتَه مُسـتَغْنيةٌ -لظُهـورِ حُسـنِها وطُولِها- عن السُّؤالِ عنهما والوَصْفِ، والمرادُ: بَيانُ ما كـان عنـدَ النـبيِّ ' مِن خُشـوعٍ وطُمأنينـةٍ، وجَـودةِ القِـراءةِ، وطُـولِ القِيـامِ والرُّكوعِ والسُّجودِ.

والأربـعُ رَكعـاتٍ كـانتْ بتَسـليمةٍ واحـدةٍ، ومـا ورَدَ في الحـديثِ المُتَّفقِ عليه مِن حَديثِ ابنِ عُمَرَ f: «أنَّه ' كان يُصلِّي صَلاةَ اللَّيـلِ مَثْنى مَثْنى»، محمولٌ على أوقاتٍ أُخرى، أو أنَّ الأربَـعَ المـذكورةَ هنـا كـان يُسـلِّمُ فيهنَّ ' بيْن كـلِّ رَكعـتينِ، ثمَّ يَجلِسُ أو يَنـامُ، ثمَّ يُصلِّي أرْبعًا أُخرى، وعلى هـذا تكـونُ رِوايـةُ التَّسـليمِ مِن رَكْعـتينِ مُفسِّرةً لهذه الرِّوايةِ.

ثمَّ يُصلِّي ' ثَلاثَ رَكعاتٍ يَختِمُ بها صَلاةَ اللَّيلِ.

وفي سُؤالِ أمِّ المؤمنينَ عائشةَ ~ لرَسولِ اللهِ ': «أتَنامُ قبْلَ أنْ تُوتِرَ؟» قيل: إنَّها ~ ظَنَّت أنَّ الـوِترَ إنَّمـا يكـونُ في إثـرِ العِشـاءِ؛ ولـذا لَمَّا رَأَتْ رَسـولَ اللـهِ ' يَنـامُ ويُـؤخِّرُه لآخِـرِ اللَّيـلِ، سَـأَلَتْه. وأجابَها رسولُ اللهِ ': أنَّ عَينَيـه تَنامـانِ، ولا يَنـامُ قَلْبُه '، ومعنـاهُ: أنَّه يَقِظٌ حاضِرٌ مع اللهِ ، فيَملِكُ القِيامَ في أيِّ وقتٍ، ويَنتبِهُ قبْـلَ فَواتِ وَقتِ الوَترِ، وهذا مِن خَصائصِ الأنبياءِ صَلواتُ اللهِ وسَـلامُه عليهم. وقيل: إنَّما كان قلْبُه الشَّريفُ لا يَنامُ؛ لأنَّ القلْبَ إذا قَوِيَت فيه الحياةُ لا يَنامُ إذا نام البَدَنُ.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديثِ: عَلَمٌ مِن أعلامِ نُبوَّتِه ‘.

٢- وفيه: مَشروعيَّةُ النَّومِ قبْلَ الــوترِ لمَن يَغلِبُ الظَّنُّ أنَّه سَـيَأْتي به قبْلَ الفَجرِ.

٣- وفيه بيان صفة صلاة رسول الله ‘ الليلية، وأنها طويلة حسنة، فيها الخشوع والوقار والسكينة.

الحديث الحادي والثلاثون

أولًا: نص الحديث

قـالت عائشة ~ "مـا ضَـرَبَ رَسـولُ اللـهِ ‘ شـيئًا قَـطُّ بيَـدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا؛ إلَّا أَنْ يُجَاهِدَ في سَبيلِ اللهِ، وَما نِيلَ منه شَـيءٌ قَـطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِن صَـاحِبِهِ؛ إلَّا أَنْ يُنْتَهَـكَ شَـيءٌ مِن مَحَـارِمِ اللـهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ ¸".

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه مسلم في صحيحه، قال:

(2328) حَدَّثَنَاهُ أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «ما ضرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خادما، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله، وما نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»

وأخرجه أحمد في مسنده، قال:

25715 - حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: "مَا ضرب رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خادما قَطُّ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ"

ثالثًا: شرح معاني الحديث

كان النَّبيُّ ‘ رَؤوفًا رَحيمًا، وكان يُحِبُّ التَّيسيرَ على المسلِمين في كلِّ الأُمورِ المُحتَمِلةِ لذلك، ومع ذلـكَ فإنَّه كـانَ وَقَّافًا عنـدَ حُـدودِ اللهِ ومَحارِمِه، ويَغضَبُ للهِ أشدَّ الغَضبِ حتَّى يُزالَ الحرامُ، فكـان ‘ يُوازِنُ بيْن ما فيه مَصلحةٌ للعبادِ وبيْن ما يكونُ حَقًّا للهِ تعالَى.

وفي هذا الحديثِ تُخبِرُ عائشـةُ زوجُ النَّبيِّ ‘ أنَّ رَسـولَ اللـهِ ‘ مـا ضرَب شيئًا قطُّ بيدِه، ولا امرأةً، ولا خادمًـا، أي: لم يضـرب آدميًّا؛ لأنَّه ربَّما ضرَب الدَّابَّةَ الَّتي يَركَبُها، وهذا من حُسْنِ خُلُقِه ‘ أنَّه مـا ضَـرَب أحـدًا بيديـه، وخصَّـتِ المَـرْأةَ والخـادِمَ بالـذِّكرِ؛ اهتمامًـا بشَأنِهما، ولكَثرةِ وُقوعِ ضَرْبِ هذَينِ والاحتياجِ إليه. «إلَّا أنْ يُجاهِـدَ

في سبيلِ الله» فإنَّ ضَـرْبه وبَطْشَـه بيـده لم يكُن إلَّا في الجهـادِ في سبيلِ الله.

ثمَّ أخبَرَت ~ أنَّه ' كان يتَسامَحُ في حقِّ نَفْسه؛ فيَعفو ويَصفَحُ إذا أُوذِيَ مِن أحدٍ، وهـذا مِن كَرمِه '؛ أنَّه لا يَضـرِبُ أحـدًا على شَـيءٍ مِن حُقوقِه الخاصَّةِ بـه؛ لأنَّ لـه أنْ يَعفُـوَ عن حقِّه، ولـه أنْ يَأخُـذَ حَقَّه، أمَّا عنـدَ الوقـوعِ في حُرُمـاتِ اللـه؛ فـإنَّ تَسـامُحَه وصَـفْحَه يَتحوَّلُ غضبًا وانْتقامًا لله ﻷ؛ لأنَّه ' لا يُقِرُّ أحدًا على ما يُغضِبُ اللـهَ ﻷ.

وفي هـذا إرشـادُ المسْـلِمينَ إلى أنْ يكـونَ سـبيلُ حَيـاتِهم على التَّيسيرِ والمُسامَحةِ والبُعدِ عن التَّشدُّدِ المبالَغِ فيـه، مـع الوقـوفِ عنـدَ حُرمـاتِ اللـهِ وحُـدودِه؛ فلا تُـرتكَبُ المعاصـي والـذُّنوبُ، ولا يُنتَهَكُ حقُّ اللهِ في المجتمعِ المسلمِ، فإذا حـدَثَ ذلـكَ وجَبَ على المسلمِ الغضَبُ للهِ مُقتدِيًا بالنَّبيِّ '، مع مُراعاةِ وَضـعِ الأُمـورِ في نِصابِها، وأنْ يكونَ الغضـبُ في مَحلِّهِ ولا يَتجـاوَزَه إلى أكثَـرَ منـه؛ حتَّى لا يُفسِدَ مِن حيثُ أرادَ الإصلاحَ.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديث: بيانُ سَماحةِ النَّبيِّ '، وتَسامُحِه في حقِّ نَفْسِه.

٢- وفيه: بيانُ أنَّ حُدودَ الله وحُرُماتِه واجبةُ الحِفظِ والصِّيانةِ على كلِّ مُسلمٍ.

٣- وفيه: بَيانُ شدَّةِ النَّبيِّ ' في حقِّ اللهِ وشدَّةِ انْتقامِه للهِ.

الحديث الثاني والثلاثون

أولًا: نص الحديث

قال أنس ¢ "خدمتُ رسولَ اللهِ ‘ عشرَ سنينَ، فما قال لي أُفٍّ قطُّ، وما قال لي لشيءٍ صنعتُه: لِمَ صنعتَه، ولا لشيءٍ تركتُه: لِمَ تركتَه، وكان رسولُ اللهِ من أحسنِ الناسِ خُلُقًا، ولا مسستُ خَزًّا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألينَ من كفِّ رسولِ اللهِ، ولا شممتُ مِسكًا قط ولا عطرًا كان أطيبَ من عَرَقِ النبيِّ"

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه البغوي في شرح السنة، قال:

3664 - أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوْزَجَانِيُّ، أَنا أَبُو الْقَاسِمِ الْخُزَاعِيُّ، أَنا الْهَيْثَمُ بْنُ كُلَيْبٍ، نَا أَبُو عِيسَى التِّرْمِذِيُّ، نَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، نَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ الضّبعِيُّ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "خدمت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَهُ؟ وَلا لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتَهُ؟ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ خُلُقًا، وَلا مَسِسْتُ خَزًّا قَطُّ، وَلا حَرِيرًا، وَلا شَيْئًا كَانَ أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلا شَمِمْتُ مِسْكًا، وَلا عِطْرًا كَانَ أَطْيَبَ مِنْ عَرَقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ"

ثالثًا: شرح معاني الحديث

كان النَّبيُّ ‘ طَيِّبَ الشَّمائلِ حَسَنَ العِشرةِ. وفي هذا الحديثِ يَقولُ أنسُ بنُ مالكٍ ¢: "خدَمْتُ رسولَ اللهِ ‘ عشْرَ سِنينَ، فما قال لي: أُفٍّ قطُّ" و"أُفٍّ" كَلمةُ تبرُّمٍ، أيْ: إنَّه لم يَتضجَّرْ منِّي في شَيءٍ قطُّ، "وما قال لي لِشَيءٍ صَنعْتُه: لِمَ صَنعتَه؟ ولا لِشَيءٍ تَركْتُه: لِمَ تَركْتَه؟"، والمعْنى: لمْ يقُلْ لِشَيءٍ صَنعْتُه مِن نفْسِي مِن غَيرِ أمْرٍ به: لِمَ صَنعْتَه؟ ولا لِشَيءٍ لمْ أصْنَعْهُ، وكنْتُ مأمورًا بِه: لِمَ لمْ تَصنَعْه؟ بالتَّوبيخِ أو اللَّومِ على ترْكِ الفِعلِ، وتَرْكُ اعتراضِ النَّبيِّ ‘ على أنسٍ ¢ فيما خالَفَ أمْرَه، محمولٌ على ما

يَتعلَّقُ بالخِدمةِ لا فيما يَتعلَّقُ بالتَّكاليفِ الشَّرعيَّةِ؛ فإنَّه لا يجوزُ تَرْكُ الاعتراضِ فيه، ويُفهَمُ منه: أنَّ أنَسًا لم يَرتكِبْ أمْرًا يَتوجَّهُ إليه فيه مِن النَّبيِّ ‘ اعتراضٌ.

قال أنسٌ ¢: "وكان رسولُ اللهِ مِن أحسَنِ النَّاس خُلقًا"، أي: كان أفضَلَ النَّاسِ اتِّصافًا بمعالي الأخلاقِ قَولًا وعملًا مع كُلِّ الخَلْقِ حتَّى مع الحَيواناتِ والجَماداتِ؛ وذلك لكونِه أكملَ النَّاسِ إيمانًا. وحُسنُ الخُلقِ مِن صِفاتِ الأنبياءِ والأولياءِ الصَّالحين، وهو اعتِدالُ الأخلاقِ بَينَ طَرفي مَذمومِها، ومُخالَفةُ النَّاسِ بالجميلِ منها، والبِشرُ والتودُّدُ لهم، والإشفاقُ عليهم، والاحتمالُ والحِلمُ والصَّبرُ فى المكارهِ، وتَركُ الاستطالةِ والكِبرِ على الناسِ والمؤاخذةِ، واستعمالِ الغضبِ، والسَّلاطةِ والغِلظةِ.

قال: "ولا مَسِسْتُ خَزًّا ولا حريرًا ولا شَيئًا كان ألْينَ مِن كفِّ رسولِ اللهِ"، وهذا مِن تَمامِ صِفاتِه الجَسديَّةِ؛ فقد كان جَميلَ الجِسمِ والجِلْدِ مع القُوَّةِ والفُتوَّةِ، "ولا شمَمْتُ مِسْكًا قطُّ ولا عِطْرًا كان أطيَبَ مِن عرَقِ النَّبيِّ"، وهذا أيضًا مِن حُسنِ شَمائلِ النَّبيِّ ‘.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديث حسنُ خلق رسول الله ‘ وطِيبُ شمائله ولُطفُ معاشرته.

٢- وفيه ما كان عليه رسول الله من النظافة واللين وحسن التعطر والتطيب.

الحديث الثالث والثلاثون

أولًا: نص الحديث

قال أبو هريرة ¢: بيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسولِ اللَّهِ ‘ قالَ: بيْنَا أنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُنِي في الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إلى جَانِبِ قَصْرٍ، قُلتُ: لِمَن هذا القَصْرُ؟ قالوا: لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا قالَ أبو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ثُمَّ قالَ: أعَلَيْكَ بأَبِي أنْتَ وأُمِّي يا رَسولَ اللَّهِ، أغَارُ؟

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البخاري في صحيحه، قال:

3679 - حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ المَاجِشُونِ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ المُنْكَدِرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ، امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ، وَسَمِعْتُ خَشَفَةً، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلاَلٌ، وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فذكرت غيرتك" فَقَالَ عُمَرُ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعَلَيْكَ أَغَارُ؟

وأخرجه مسلم في صحيحه، قال:

(2394) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ نُمَيْرٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَمْرٍو، وَابْنِ الْمُنْكَدِرِ، سَمِعَا جَابِرًا، يُخْبِرُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ح وَحَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ - وَاللَّفْظُ لَهُ - حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ ابْنِ الْمُنْكَدِرِ، وَعَمْرٍو، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا دَارًا أَوْ قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ، فذكرت غيرتك" فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَيْ رَسُولَ اللهِ أَوَ عَلَيْكَ يُغَارُ؟

ثالثًا: شرح معاني الحديث

كان النَّبيُّ ‘ يَصِفُ الجنَّةَ وما فيها مِن النَّعيمِ، وكان يُبشِّرُ بها بَعضَ أصحابِه؛ بَيانًا لكَرامتِهم، وحثًّا لغَيرِهم على الاجتهادِ في الطَّاعاتِ حتَّى يَنالوا الجنَّةَ.

وفي هذا الحديثِ يُخْبِرُ النَّبيُّ ‘ أصْحابَه أنَّه بيْنَما هو نائِمٌ رَأى نَفْسَه في الجَنَّةِ - ورُؤيا الأنبياءِ حقٌّ ووحْيٌ مِن اللهِ ۵- ورَأى امْرَأةً تَتوضَّأُ إلى جانِبِ قَصْرٍ وُضوءًا شَرعيًّا، ولا يَلزَمُ أنْ يكونَ على جِهةِ التَّكليفِ، أو المُرادُ الوُضوءُ اللُّغويُّ -وهو الطَّهارةُ والتَّنظُّفُ- لِتَزدادَ وَضاءةً وحُسْنًا، فسَأَلَ: لِمَن هذا القَصرُ؟ فأجابَتْه الملائكةُ أنَّه لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ¢، وفي رِوايةٍ في البُخاريِّ مِن حَديثِ جابرٍ ¢: «فأرَدْتُ أنْ أدْخُلَه فأنْظُرَ إليه»؛ لِيَرى ما فيهِ

ويَصِـفَه لعُمَـرَ، ثمَّ تَـذكَّرَ أنَّ في دُخولِـه إيَّاه قـدْ يَـرى الحُـورَ على تَبذُّلِهنَّ في مَساكنِهنَّ، فتَذَكَّرَ غَيرةَ عمَرَ ¢، فَوَلَّى مُدبِرًا ورجَعَ عن دُخولِ القصْرِ إكرامًا منـه لعُمَـرَ ¢، فلمَّا سَـمِع عمَـرُ ¢ ذلـك بَكى شُكرًا للهِ ¸ على ما أَولاه مِن نِعَمِه، وتَأدُّبًـا مـع رَسـولِ اللـهِ ‘، أو تَشَوُّقًا إلى الوعْدِ والبُشرى بالجنَّةِ، وقالَ: «أعَلَيكَ أغارُ يـا رَسـولَ الله!»، أي: لا تَصـدُرُ الغَـيرةُ منِّي تُجاهَـكَ يـا رسـولَ اللـهِ؛ لأنَّه لا يَجِبُ أنْ يُظَنَّ به شَيءٌ مِن السُّوءِ، خاصةً وأنَّ عمَرَ ¢ لم يَنَلْ هذا القدْرَ ويَرتفِعَ تلك الدَّرَجةَ إلَّا بسَببِ رَسولِ اللهِ ‘ وعلى يَدَيْه.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَديثِ: فَضلُ عُمَرَ ¢.

٢- وَفيه: أنَّ الجنَّةَ مَخلوقـةٌ، وأنَّ جَوارِيَهـا خُلِقْنَ، فهنَّ يَتقلَّبْنَ في النَّعيمِ انتظارًا لقُدومِ المؤمنينَ عليهنَّ.

٣- وفيـه حسـن أخلاق رسـول الله ‘، الـذي بلـغ من أخلاقـه أنـه يراعي مشاعر أصحابه حتى في منامه.

الحديث الرابع والثلاثون

أولًا: نص الحديث

إن رَسولَ اللـهِ ‘ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًـا قَسَـمَ الغَنَـائِمَ، فـأعْطَى المُؤَلَّفَـةَ قُلُـوبُهُمْ، فَبَلَغَـهُ أنَّ الأنْصَـارَ يُحِبُّونَ أنْ يُصِـيبُوا مـا أَصَـابَ النَّاسُ، فَقَامَ رَسولُ اللـهِ ‘ فَخَطَبَهُمْ فَحَمِـدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عليـه، ثُمَّ قـالَ: يـا مَعْشَـرَ الأنْصَـارِ، أَلَمْ أَجِـدْكُمْ ضُـلَّالًا، فَهَـدَاكُمُ اللَّهُ بي؟ وَعَالَـةً، فأغْنَـاكُمُ اللَّهُ بي؟ وَمُتَفَـرِّقِينَ، فَجَمعكُمُ اللَّهُ بي؟ ويقولـونَ: اللَّهُ وَرَسـولُهُ أَمَنُّ، فَقـالَ: أَلَا تُجِيبُـونِي؟ فَقـالوا: اللَّهُ وَرَسـولُهُ أَمَنُّ، فَقالَ: أَما إنَّكُمْ لو شِئْتُمْ أَنْ تَقُولوا كَذَا وَكَذَا، وَكانَ مِنَ الأمْـرِ كَـذَا وَكَذَا لأَشْيَاءَ عَدَّدَهَا، زَعَمَ عَمْرٌو أَنْ لا يَحْفَظُهَا، فَقـالَ: أَلَا تَرْضَـوْنَ أَنْ يَـذْهَبَ النَّاسُ بالشَّـاءِ وَالإِبِـلِ، وَتَـذْهَبُونَ برَسـولِ اللـهِ إلى رِحَالِكُمْ؟ الأنْصَارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَـارٌ، وَلَـوْلَا الهِجْـرَةُ لَكُنْتُ امْـرَءًا مِنَ الأنْصَارِ، ولو سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا، لَسَـلَكْتُ وَادِيَ الأنْصَـارِ وَشِعْبَهُمْ، إنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْـدِي أَثَـرَةً، فَاصْـبِرُوا حتَّى تَلْقَـوْنِي علَى الحَوْضِ.

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه البخاري في صحيحه، قال:

4330 - حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبَّادِ بْنِ تَمِيمٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ، قَالَ: لَمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ حُنَيْنٍ، قَسَمَ فِي النَّاسِ فِي المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَلَمْ يُعْطِ الأَنْصَارَ شَيْئًا، فَكَأَنَّهُمْ وَجَدُوا إِذْ لَمْ يُصِبْهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، أَلَمْ أجدكم ضلالا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟...» الحديث

ثالثًا: شرح معاني الحديث

عَرَفَ النَّبيُّ ‘ للأنصارِ فَضْـلَهم؛ لِمَـا قـاموا بـه مِن واجِبِ النُّصْـرةِ للنَّبيِّ ‘، فأوْصى بهم، ودَعا لهم ولأبْنائِهم، وقدْ كانوا € لا يَتأخَّرونَ عنِ الغَزْوِ مع النَّبيِّ ‘، ومع خُلَفائِه مِن بعدِه.

وفي هذا الحَديثِ يَحْكي عبدُ اللهِ بنُ زَيدٍ ¢ أنَّه لَمَّا أنعَمَ اللهُ على رَسولِه وأعْطاهُ غَنائمَ الَّذين حارَبَهم يومَ حُنَينٍ -وكان هذا في العامِ الثَّامنِ مِن الهِجْرةِ عَقيبَ فَتحِ مكَّةَ، وحُنَينٌ وادٍ بيْن مكَّةَ والطَّائفِ، بيْنه وبيْن مكَّةَ 26 كم- قسَمَ ' الغَنائِمَ في النَّاسِ فأعْطى المؤَلَّفةَ قُلوبُهم ممَّن أَسْلَموا بعْدَ فَتحِ مكَّةَ، وفي إسْلامِهم ضَعفٌ، فأعْطاهمُ النَّبيُّ ' العَطايا ليُرغِّبَهم في الإسْلامِ، ولم يُعطِ الأنْصارَ شَيئًا، فكأنَّهمْ حَزِنوا؛ إذْ لم يَأخُذوا مِثلَ ما أخَذَ النَّاسُ مِن الغنائمِ، فلمَّا علِمَ النَّبيُّ ' بحُزنِهم، قام فخَطَبَهم فقالَ: «يا مَعشَرَ الأنْصارِ، ألمْ أجِدْكم ضُلَّالًا فهَداكمُ اللهُ بي؟!» حيث كُنتُم في ضَلالةِ الشِّركِ، فهَداكمُ اللهُ بالإيمانِ الَّذي أرْسَلَني به، «وكُنتُم مُتفرِّقينَ فألَّفَكمُ اللهُ بي؟!» حيث كُنتُم مُتَناحِرينَ مُتَقاطِعينَ، يُحارِبُ بَعضُهم بَعضًا كما في حَربِ بُعاثَ، فجَمَعهمُ النَّبيُّ '، وألَّفَ اللهُ بيْن قُلوبِهم، «وكُنتُم عالةً»، أي: فُقراءَ، «فأغْناكمُ اللهُ بي؟!»، فكان مِن أدَبِ الأنْصارِ أنَّهم كلَّما قال لهمُ النَّبيُّ ' شيئًا، قالوا له: «اللهُ ورَسولُه أمَنُّ»، أي: لهما الفَضلُ والمِنَّةُ على الحَقيقةِ، فلولا هِجْرتُه إليهم لكانوا كسائِرِ النَّاسِ.

فقال النَّبيُّ ': «ما يَمنَعُكم أنْ تُجيبوا رَسولَ اللهِ '؟» فتَرُدُّوا عليه، وتَذكُروا ما صَنَعتُم معَه مِن مُسانَدةٍ، ونُصْرةٍ لدِينِ اللهِ ¸، وإيوائِكُم لرَسولِه '، فلمَّا سَكَتوا، تَكلَّمَ النَّبيُّ ' بلِسانِهم فقال: «لو شِئْتُم قُلتُم: جِئْتَنا كذا وكذا»، أي: أتَيْتَنا مُكذَّبًا فصدَّقْناك، ومُخذَّلًا فنَصَرْناكَ، وطَريدًا فآوَيْناكَ، وعائِلًا فواسَيْناكَ، وهذا مِن تَواضُعِه ' وإنْصافِه، ثمَّ طيَّبَ النَّبيُّ ' خَواطِرَهم، وهوَّنَ عليهم أنَّه لم يُعْطِهم شيئًا؛ بقَولِه: «أتَرضَوْنَ أنْ يَذهَبَ النَّاسُ بالشَّاةِ والبَعيرِ» وغَيرِها مِن الأمْوالِ ومَتاعِ الدُّنْيا، «وتَذهَبونَ بالنَّبيِّ ' إلى رِحالِكم؟» أي: بُيوتِكم ومَنازِلِكم. ثمَّ قال لهمُ النَّبيُّ ': «لولا الهِجْرةُ لكُنتُ امْرأً منَ الأنْصارِ»، أي: لولا أنِّي هاجَرْتُ، وصِرْتُ مَنْسوبًا إلى الهِجْرةِ، ولا يَسَعُني تَركُها؛ لانتَسبْتُ إلى الأنْصارِ، وكُنتُ واحدًا منهم، «ولو سلَكَ النَّاسُ واديًا وشِعبًا» وهو الطَّريقُ في الجَبلِ، «لَسلَكْتُ واديَ الأنْصارِ وشِعْبَها»، فتَبِعْتُهم في طَريقِهم، وتَرَكْتُ الطَّريقَ الآخَرَ الَّذي سلَكَه النَّاسُ، وذلك لفَضْلِ الأنْصارِ، وذلك أنَّهم شِعارٌ -

وهـو الثَّوبُ الَّذي على الجِلـدِ- «والنَّاسُ دِثـارٌ» وهـوَ الثَّوبُ الَّذي فَوقَ الشِّـعارِ، فـأرادَ أنَّهم أقـرَبُ النَّاسِ إليـه كقُـرْبِ الشِّـعارِ إلى الجسَدِ، ثمَّ قال: «إنَّكم سـتَلقَوْنَ بَعـدي أَثَـرةً»، يَعـني: سـتَجِدونَ استِبْدادًا عليكم، وانْفِرادًا بالأمْوالِ والحُقوقِ مِن الأُمَراءِ دُونَكم بما لكمْ بغَـيرِ حَـقٍّ بعْـدَ موتِه ‘، فيُعْطي المَسـؤولُ غَـيرَكم مـا لا يُعْطيكم، ويَستَعمِلُهم في الوَظائفِ والوِلاياتِ ما لا يَستَعمِلُكم، ثمَّ قال لهم مُوصيًا ومُرشِدًا إلى ما يَصنَعونَ: «فاصْبِروا حتَّى تَلقَـوْني على الحَوْضِ»، أي: اصْبِروا على ما تَلقَوْنَـه في الـدُّنْيا مِن بَعْـدي، حتَّى تَلقَـوْني على الحَـوْضِ في القيامـةِ سـالِمينَ مِنَ التَّنـافُسِ والتَّبـاغُضِ في حُطـامِ الـدُّنْيا، فعنـدَها تُوَفَّوْنَ أُجـورَكم مِن اللـهِ تعالَى، فتَظْفَرونَ بـالثَّوابِ الجَزيـلِ على الصَّـبرِ، وحَـوْضُ النَّبيِّ ‘: مَجمَعُ ماءٍ عَظيمٌ يَرِدُه المُؤمِنونَ في عَرَصاتِ القيامةِ.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَديثِ: إشارةٌ إلى جَلالةِ رُتْبةِ الهِجرةِ، ومَنزِلةِ الأنْصارِ.

٢- وفيه: أنَّ مَن فازَ بالنَّبيِّ ‘ واتِّباعِه، فقدْ فاز بكلِّ شَيءٍ.

٣- وفيه: الصَّبرُ عن حُظوظِ الدُّنْيا وحُطامِها، وما استُؤْثِرَ به منهـا، وادِّخارُ ثَوابِ ذلك للدَّارِ الآخِرةِ الَّتي لا تَفْنَى.

٤- وفيه: عَلَمٌ مِن أعْلامِ نُبوَّتِه ‘؛ فإنَّه إخْبارٌ بمـا سـيَقَعُ، وقـد وقَـعَ على وَفْقِ ما أخْبَرَ به مِن الاستِئْثارِ على الأنصارِ بالدُّنْيا، فلمْ يَنالوا رُتْبةً مِن رُتَبِ وِلاياتِها.

٥- وفيـه: تَـأليفُ قُلـوبِ بَعضِ النَّاسِ بالمـالِ حتَّى يَثبُتـوا على الإسْلامِ.

٦- وفيه: إثْباتُ الحَوضِ للنَّبيِّ ‘ يَومَ القيامةِ.

الحديث الخامس والثلاثون

أولًا: نص الحديث

إن رسولَ اللَّهِ ‘ كان واقفًا على الحـزوَرةِ فقـالَ "واللَّهِ إنَّكِ لخـيرُ أرضِ اللَّهِ، وأحبُّ أرضِ اللَّهِ إلى اللَّهِ، ولولا أنِّي أُخـرِجـتُ منـكِ مـا خرجتُ"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه أحمد في مسنده، قال:

18717 - حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: وَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحَزْوَرَةِ، فَقَالَ: "عَلِمْتُ أَنَّكِ خَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ أَهْلَكِ أخرجوني منك مَا خَرَجْتُ"

وأخرجه الترمذي في سننه، قال:

3926 - حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُوسَى البَصْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا الفُضَيْلُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خُثَيْمٍ قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَأَبُو الطُّفَيْلِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَكَّةَ: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمِي أخرجوني منك مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

مكـةُ المكرَّمـةُ هي أفضـلُ البِقـاعِ على وجـهِ الأرضِ، وهي أحبُّ البِلادِ إلى اللهِ تعالى، وشُرِّفَت ببيتِ اللهِ الحرامِ.

وفي هذا الحَديثِ يقولُ عبـدُ اللـهِ بنُ عَـديٍّ بنِ حمـراءَ ¢: "رأيتُ رسـولَ اللـهِ ‘ واقِفًـا على الحَـزوَرةِ"، والحَـزْوَرةُ: مرتفِـعٌ يُقابِـلُ المسعَى مِن جِهَةِ المشـرِقِ، كـان سُـوقًا مِن أسـواقِ مكَّةَ، فقـال النَّبيُّ ‘ مُخاطِبًا مكَّةَ: "واللـهِ، إنَّكِ لخَـيرُ أرضِ اللـهِ"، أي: أفضـلُها وأعظمُها، "وأحبُّ أرضِ اللهِ إلى اللهِ، ولـولا أنِّي أُخـرِجـتُ مِنـكِ"، أي: بأمرٍ مِن اللـهِ، وذلـك بَعـدَما زاد أذَى قُـريشٍ لـه ولِمَن أسلَم

معَه، "ما خرَجتُ"، أي: لبَقيتُ بمكَّةَ، وكـان النَّبيُّ ' خـرَج مُهـاجِرًا مِن مكَّةِ إلى المدينةِ.

وقال ابن عبـد الـبر في الاسـتذكار "وقد ذكر بن وَهْبٍ فِي جَامِعِهِ قَالَ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ أَنَّ آدَمَ لَمَّا أُهْبِطَ إِلَى الْأَرْضِ بِالْهِنْدِ قَالَ يَا رَبِّ هَذِهِ الْأَرْضُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تُعْبَدَ فِيهَا قَالَ بَلْ مَكَّةُ، فَسَارَ آدَمُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ فَوَجَدَ عِنْدَهَا مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ فَيَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَقَالُوا مَرْحَبًا يَا آدَمُ يَا أَبَا الْبَشَرِ إنا ننتظرك ها هنا مُنْذُ أَلْفَيْ سَنَةٍ. وَقَدْ زِدْنَا هَذَا الْمَعْنَى بَيَانًا فِي التَّمْهِيدِ بِالْآثَارِ وَالْأَسَانِيدِ. وَحَسْبُكَ بِمَكَّةَ أَنَّ فِيهَا بَيْتَ اللَّهِ الَّذِي رَضِيَ لِعِبَادِهِ عَلَى الْحَطِّ لِأَوْزَارِهِمْ وَغُفْرَانِ ذُنُوبِهِمْ أَنْ يَقْصِدُوهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي أَعْمَارِهِمْ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ صَلَاةً إِلَّا بِاسْتِقْبَالِ جِهَتِهِ بِصَلَاتِهِ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِالْجِهَةِ قَادِرًا عَلَى التَّوَجُّهِ إِلَيْهَا فَهِيَ قِبْلَةُ أَهْلِ دِينِهِ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا وَالْآثَارُ عَنِ السَّلَفِ فِي فَضَائِلِ مَكَّةَ كَثِيرَةٌ جِدًّا وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ."

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَـديثِ: أفضــليةُ مَكَّةَ المُكرَّمــةِ على غيرِهــا مِن ســائرِ البُلدانِ.

٢- وفيه: مِن تَعظيمِ الأدبِ في مُفارَقةِ بيتِ اللهِ ٍ.

٣- وفيه بيانُ شدة محبة رسول الله لبلده مكة، وشدة تعلقه بهذا البلد الكريم.

الحديث السادس والثلاثون

أولًا: نص الحديث

"إنِّي عندَ اللهِ مكتوبٌ خاتمُ النَّبيِّنَ، وإنَّ آدمَ لمنجَـدلٌ في طينتِـه، وسأخبِرُكم بأوَّلِ أمري: دَعوةُ إبراهيمَ، وبِشارةُ عيسَى، ورؤيا أمِّي الَّتي رأَت - حين وضعَتني - وقـد خـرج لهـا نـورٌ أضـاءَت لهـا منـه قصورُ الشَّامِ"

ثانيًا: تخريج الحديث

رواه البغوي في شرح السنة، قال:

3626 ـ حَدَّثَنَا السَّيِّدُ أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الْمُوسَوِيُّ، حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ الْبَلْخِيُّ، مُشَافَهَةً، أنا أَبُو سُلَيْمَانَ حَمْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ الْمَكِّيِّ، نَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، نَا ابْنُ أَخِي ابْنِ وَهْبٍ، نَا عَمِّي، نَا مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الأَعْلَى بْنِ هِلالٍ السُّلَمِيِّ، عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: "إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مكتوب خاتم النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ أَمْرِي: دَعْوَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْنِي، وَقَدْ خَرَجَ لَهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ"

ثالثًا: شرح معاني الحديث

في هذا الحَديثِ يُبَيِّنُ النبيُّ ' أنَّ اللهَ سُبحانَه قَدَّرَ كُلَّ شَيءٍ قَبلَ خَلقِ الأكوانِ، وكَتَبَ المَقاديرَ، فحَدَّدَ الأنبياءَ والمُرسَلينَ، أوَّلَهم وآخِرَهم. وفي هذا الحَديثِ يَقولُ النبيُّ ': "إنِّي عِندَ اللهِ مَكتوبٌ خاتَمُ النبيِّينَ" فقَدَّرَ اللهُ ذلك في الأزَلِ، "وإنَّ آدَمَ لَمُنجَدِلٌ في طينَتِه" مِنَ الجَدلِ، وهو الإلقاءُ على الأرضِ الصُّلبةِ، أيْ: والحالُ أنَّه لساقِطٌ ومُلقًى على الأرضِ قَبلَ نَفخِ الرُّوحِ فيه، ولم تُعَلَّقْ به، "وسأُخبِرُكم بأوَّلِ أمْري"، بمَعنى: سأُخبِرُكم بأوَّلِ ما ظَهَرَ مِن نُبُوَّتي ورِفعَتي في الدُّنيا: "دَعوةُ إبراهيمَ"، فالنبيُّ ' دَعوةُ إبراهيمَ ' حينَ بَنى الكَعبةَ، فقالَ: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ} [البقرة: 129]، فابعَثْ رَسولًا مِنَ العَرَبِ، فاستَجابَ اللهُ دُعاءَه، "وبِشارةُ عيسى"، وهي قَولُه تَعالى: {وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} [الصف: 6]، "ورُؤيا أُمِّي التي رَأَتْ"، يَحتَمِلُ أنْ تَكونَ الرُّؤيا مَناميَّةً، ويَحتَمِلُ اليَقَظةَ، "حينَ وَضَعَتْني"، عِندَ وِلادَتي، "وقد خَرَجَ لها نورٌ أضاءَتْ لها منه قُصورُ الشَّامِ"، وذلك النُّورُ عِبارةٌ عن ظُهورِ نُبُوَّتِه ما بَينَ المَشرِقِ والمَغرِبِ، واضمَحَلَّ بها ظُلمةُ الكُفرِ والضَّلالةِ، وأضاءَ نورُ هِدايَتِه قُصورَ الشَّامِ، حيث كان يُوجَدُ الرُّومُ وقُصورُهم، وكانوا أهلَ كِتابٍ مِنَ النَّصارى، فكَأنَّ نورَ الحَقِّ أضاءَ على أهلِ رِسالةِ عيسى ' بَعدَما بَدَّلوه وحَرَّفوه، وهو آخِرُ نَبيٍّ قَبلَ محمدٍ '.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَديثِ: بَيانُ مَكانةِ النبيِّ ‘ عِندَ اللهِ.

٢- وفيه: أنَّ الأقدارَ مَحتومةٌ ومُقَدَّرةٌ عِندَ اللهِ.

٣- وفيه أن رسول الله ‘ مكتوب خاتم النبيين منذ قديم، دلالةً على شرف هذا المكتوب.

٤- وفيه أن النبي ‰ مذكور في الدعوات السابقة للأنبياء السابقين، بل وكلُّ واحد منهم مأمورٌ باتباعه إذا أدركه.

الحديث السابع والثلاثون

أولًا: نص الحديث

قالت عائشةُ زَوجُ النَّبيِّ ‘: فقدتُ رسولَ اللَّهِ ‘ وَكانَ معي علَى فراشي فوجدتُه ساجدًا راصًّا عقِبَيهِ مُستقبِلًا بأطرافِ أصابعِه القِبلَةَ فسمِعتُه يقولُ "أعوذُ برِضاكَ مِن سخطِك وبعفْوِك مِن عقوبتِك وبِكَ مِنكَ أُثني علَيكَ لا أبلغُ كلَّ ما فيكَ" قالت: فلمَّا انصرفَ قال "يا عائشةُ أخذَكِ شَيطانُكِ" فقلتُ: أما لَك شَيطانٌ؟ قال "ما مِن آدميٍّ إلَّا لَه شيطانٌ" فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ وأنتَ؟ قال "وأنا، ولَكنِّي دعَوتُ اللَّهَ فَأعانَني علَيهِ فأسلَمَ"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه مسلم في الصحيح، قال:

(2815) حَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ الْأَيْلِيُّ، حَدَّثَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ، عَنِ ابْنِ قُسَيْطٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ عُرْوَةَ حَدَّثَهُ، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا، قَالَتْ: فَغِرْتُ عليه، فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «مَا لَكِ؟ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟» فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أعانني عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

كـان النَّبيُّ ‘ أكـثرًا النـاسِ اجتهـادًا في التَّقـرُّبِ إلى اللـهِ، وكـان مُداومًا على قِيامِ اللَّيلِ، وكان يُكثِرُ الدُّعاءَ والتَّضرُّعَ.

وفي هذا الحَديثِ تقولُ أمُّ المُؤمِنينَ عائشـةُ ~: "فقَـدْتُ رسـولَ اللـهِ ‘ وكـان معي على فِراشـي"، أي: إنَّهـا كـانتْ في لَيلتِهـا، فاسْـتَيقظَتْ مِن اللَّيـلِ، فلمْ تَجِـدِ النَّبيَّ ‘ في فِراشِـه، فجعَلَتْ تَطلُبُه بيَدِها وتَبحَثُ أين هو، "فوجَدْتُه ساجِدًا راصًّا عَقِبَيْه مُستقبِلًا بأطرافِ أصابِعِه القِبلةَ"، أي: لمَسَتْ بيَدِها قَدَمَ رسولِ اللهِ ‘ وهو في حالِ سُجودِه، وكانتْ هَيئتُه: أنَّه يُلصِقُ مُؤخَّرَ قَدمَيه ببَعضِـهما، ويَجعلُ أطـرافَ أصـابعِ رِجلَيـه اتِّجـاهَ القِبلـةِ، وهـو يَـدْعو ويقـولُ: "أعوذُ برِضاكَ مِن سَـخَطِكَ"، أي: ألْجَـأُ وأسـتجيرُ بمـا تَرضَـى بـه عنِّي ممَّا تَسخَطُ وتَغضَبُ بـه عليَّ، "وبعَفْـوِك مِن عُقوبتِـك"، أي: ألْجَأُ وأستجيرُ بما تَعفُو بـه عنِّي ممَّا يَقَـعُ بـه عُقوبـةٌ منـك، "وبِـكَ منكَ"، أي: وألْجَأُ وأسـتجيرُ بكُـلِّ صِـفَةٍ مَرغـوبٍ فيها مِن صِـفَاتِ اللهِ، مِن كلِّ صِفَةٍ مَرهوبٍ منها مِن صِفاتِ اللهِ، "أُثْـني عليـك، لا أبْلُغُ كلَّ ما فيكَ"، أي: لا أستطيعُ أنْ أُوفِّيَـكَ الشُّـكرَ والحَمْـدَ على نِعَمِـكَ وأفضـالِك، وأنتَ يـا ربِّ كمـا أثنَيْتَ على نفْسِـكَ، وهـذا اعتِرافٌ بالعَجزِ عن أداءِ شُكرِ النِّعَمِ.

قـالت عائِشـةُ ~: "فلمَّا انصـرَفَ"، أي: سـلَّمَ النَّبيُّ ‘ وانْتَهى مِن صَـلاتِه، قـال: "يـا عائشـةُ، أخَـذَكِ شَـيطانُكِ؟" أي: وَسـوَسَ لـكِ شَيطانُكِ، "فقلْتُ: أَمَا لك شيطانٌ؟" أي: أَمَا لك شيطانٌ يُوسْوِسُ لك ويُسوِّلُ لك بعضَ الأفعالِ؟ "قال: مَا مِن آدميٍّ إلَّا له شَـيطانٌ، فقلْتُ: يـا رسـولَ اللـهِ، وأنت؟ قـالَ: وأنـا، ولكنِّي دَعَـوتُ اللـهَ، فأعـانَني عليـه فأسـلَمُ"، يَعنِي: فأَسْـلَمُ أنـا مِنـه ومِن مَكْـرِه ووَسوسَتِه، أو أَسْلَمَ الشَّـيطانُ، أي: صـار مُسلِمًا؛ فَلا يَـأمُرني إلَّا بِخيرٍ.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَديثِ: بَيانُ هَدْيِ النَّبيِّ ‘ واهتمامِه بالقِيـامِ والصَّـلاةِ للـهِ في جَوفِ اللَّيلِ.

٢- وفيــه: وُقــوعُ الغَــيرةِ بيْن الضَّــرائرِ؛ حتَّى عنــدَ الفُضْــليَاتِ الصَّالحاتِ وأُمَّهاتِ المُؤمنينَ.

٣- وفيه: إثباتُ صِـفَتَيِ الرِّضـا والسَّـخَطِ للـهِ تعـالى، والاسـتعاذةُ بصِفاتِ اللهِ تعالى؛ فإنَّ الصِّفَةَ المُسـتعاذَ بهـا والصِّـفَةَ المُسـتَعاذَ منهـا صِـفتانِ لِمَوصـوفٍ واحـدٍ ورَبٍّ واحـدٍ؛ فالمُسـتعيذُ بإحْـدى الصِّفتينِ مِن الأُخرَى مُستعيذٌ بالمَوصوفِ بِهما منه.

٤- وفيـه: دَليـلٌ عَلى عِصـمةِ النَّبيِّ ‘ مِن أنْ يُـؤثِّرَ فيـه الشَّـيطانُ بأَذًى في عَقلِه أو قَلبِه بضُروبِ الوَساوسِ.

٥- وفيه: دَليلٌ عَلى أنَّ الشَّـيطانَ لـه تَـأثيرٌ في النُّفـوسِ الطَّاهرَةِ الزَّكيَّةِ بالوَسوسَةِ.

الحديث الثامن والثلاثون

أولًا: نص الحديث

"لكـل نَبِيٍّ دَعْـوَةٌ مُسْـتَجابَةٌ يَـدْعُو بها، وأُرِيـدُ أنْ أخْتَبِئَ دَعْـوَتي شَفاعَةً لِأُمَّتي في الآخِرَةِ."

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البخاري في صحيحه، قال:

6304 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أختبئ دعوتي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي فِي الآخِرَةِ»

وأخرجه مسلم في صحيحه، قال:

(198) حَدَّثَنِي يُونسُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلى، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ يَدْعُوهَا، فَأُرِيدُ أَنْ أختبئ دعوتي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

أمر اللهُ تعالَى عِبادَه بِالدُّعاءِ وضَـمِنَ لهمُ الإجابـةَ، كمـا في قولِـه سُبحانَه: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60]، وقدْ كان ‘ كَثيرًا ما يَدْعو اللهَ ´ ويَستجيبُ لـه دُعـاءَه، كما دعَـا على المشـركينَ في قُـريشٍ بـأنْ يُـنزِلَ عليهم سِنينَ القَحـطِ، واسـتجابَ لدعائِه أيضًـا عندما دَعـا على صَنـاديدِ الكفـرِ فقُتلـوا يـومَ بَدْرٍ، وغـير ذلـك مِنَ المَواطنِ الَّتي لا تُحصى.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ‘ أنَّ لكلِّ نَبيٍّ دعـوةً مُسـتجابةً، أي: له عنـدَ اللـه مِن رَفيـعِ الدَّرجـةِ وكَرامـةِ المنزِلـةِ أنْ جَعَـلَ لـه أنْ يدعُوَه فيما أحَبَّ مِنَ الأمورِ ويُبلِّغَه ما أراد، فَيَـدْعو في ذلـك وهـو

عالِمٌ بِإجابةِ اللهِ له، فَادَّخرَ النَّبيُّ ‘ هذه الدَّعوةَ الَّتي يَتيقَّنُ إجابتَها إلى يَومِ القيامةِ، وآثرَ أُمَّتَه بما خصَّه اللهُ به مِن إجابةِ الدَّعوةِ بِالشَّفاعةِ لهم، ولم يَجعَلْ ذلك في خاصَّةِ نَفسِه وأهْلِ بيْتِه، فجَزاهُ اللهُ عُنْ أُمَّتِه أفْضَلَ الجَزاءِ، وصلَّى اللهُ عليه أطْيَبَ الصَّلاةِ؛ فهو كما وصَفَه اللهُ {بِالْمُؤْمِنينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128].

وشَفاعتُه ‘ تَكونُ للمُذْنِبين، أو في إدخالِ الجنَّةِ مِن غيرِ حِسابٍ، أو في رَفْعِ الدَّرجاتِ يَومَ القيامةِ؛ كُلٌّ بحسَبِ حالِه.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحديث حرصُ الرسول الكريم ‘ على نفع أمته، فيدَّخِرُ دعوتَه المستجابةَ لشفاعة أمته يوم القيامة، كيف لا وقال الله ¸ فيه "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم"

٢- وفيه توجيهٌ إلى وجوب الإكثار من الصلاة والسلام على هذا الرسول الكريم، وهو أقل ما ينبغي تجاهه من الوفاء له.

الحديث التاسع والثلاثون

أولًا: نص الحديث

إن رهطًا من الصحابةِ ذهبوا إلى بيوتِ النَّبِيِّ يسألونَ أزواجَهُ عن عبادتِهِ فلمَّا أُخبِرُوا بها كأنَّهُم تقالُّوها أي: اعتبروها قليلةً ثُمَّ قالوا: أينَ نحنُ مِن رسولِ اللَّهِ وقد غَفرَ اللَّهُ له ما تقدَّمَ من ذنبِهِ و ما تأخَّرَ؟ فقالَ أحدُهُم: أما أنا فأصومُ الدَّهرَ فلا أفطرُ وقال الثَّاني: وأنا أقومُ اللَّيلِ فلا أنامُ وقال الثَّالثُ: وأنا أعتَزِلُ النِّساءَ، فلمَّا بلغ ذلك النَّبيَّ بيَّنَ لهم خطأهم وعِوَجَ طريقِهِم وقال لهم "إنَّما أنا أعلمُكُم باللَّهِ وأخشاكم له ولكنِّي أقومُ وأنامُ وأصومُ و أفطِرُ وأتزوَّجُ النِّساءَ فمَن رغِبَ عن سُنَّتي فليسَ منِّي"

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البخاري في صحيحه، قال:

5063 - حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، أَخْبَرَنَا حُمَيْدُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ الطَّوِيلُ، أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النساء فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وأتزوج النساء، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»

ثالثًا: شرح معاني الحديث

لا يَنبغي لِلمسلمِ أنْ يَتكلَّفَ ما لا يُطيقُ مِنَ العبادةِ، وعليه أنْ يَبتعِدَ عَنِ الغُلوِّ مُتأسِّيًا في ذلك بِأتْقى الخَلقِ وأخْشاهمْ للهِ محمَّدٍ ‘؛ فخيْرُ الهدْيِ هَدْيُه.

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ أنسُ بنُ مالكٍ ¢ أنَّه جاءَ ثَلاثةُ رهطٍ -والمقصودُ ثَلاثةُ رِجالٍ- إلى بَيتِ النَّبيِّ ‘، وسَألوا عَن عِبادتِه ‘، فأُخبِروا بكَمِّها وكَيْفِها، فكأنَّهم تَقالُّوها، أي: رأَوْها قَليلةً، وقالوا: أينَ نحْنُ مِنَ النَّبيِّ ‘ وقد غُفِرَ له ما تَقدَّمَ مِن ذَنْبِه وما تَأخَّرَ؟

فعزم أحَدُهم على قيامِ اللَّيلِ أبدًا دون انقِطاعٍ، والثَّاني: على صيامِ الدَّهرِ وألَّا يُفطِرَ، والثَّالِثُ: ألَّا يتزوَّجَ أبدًا، ويَعتَزِلُ النِّساءَ.

فلمَّا عَلِمَ النَّبيُّ ‘ بمقالتِهم جاءهم وقال لهمْ مُستنكِرًا عليهم: «أنْتُمُ الَّذِينَ قُلتُمْ كَذَا وكَذَا؟! أمَا واللهِ إنِّي لأخشاكمْ للهِ وأَتْقاكُمْ له»، أي: مع كَوني أكثرَكم خَشيةً للهِ وأكثرَكم تقوًى له، ولكنِّي مع ذلك لا أُبالغُ في العبادةِ المبالغةَ التي تُريدونَ؛ فإنِّي أصومُ وأُفطرُ، وأتزوَّجُ النِّساءَ، وأقومُ وأنامُ؛ وذلك لأنَّ المتشدِّدَ لا يَأمَنُ مِنَ المَللِ بِخلافِ المقتصِدِ؛ فإنَّه أمكنُ لِاستمرارِه، وخيْرُ العملِ ما داوَمَ عليه صاحبُه، ثمَّ حذَّرهمُ النَّبيُّ ‘ مِنَ الغلوِّ والابتعادِ عَن

سُــنَّتِه في العبــادةِ، فقــال لهم: «فمَن رغِبَ عَن سُــنَّتي فليس مِنِّي»، أي: فمَن أعرَضَ عَن نَهجي وطَريقتي فإنَّه بعيدٌ كـلَّ البُعـدِ عَن مُتابعةِ النَّبيِّ ‘. فإن كان مَيلُه عن سُنَّتِه ‘ عن كُرهٍ لها أو عَدَمِ اعتقادٍ بها، كان كافرًا خارجًا عن الإسلامِ. وإن كان مَيلُه عنها لغيرِ ذلك، فإنَّه مخالِفٌ لطَريقتِه ‘ السَّهلةِ السَّمحةِ التي لا تَشَـدُّدَ فيهـا ولا عَنَتَ.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَديثِ: الأمرُ بالتَّرفُّقِ في العِبـادةِ، مـع المحافظـةِ عليهـا وعلى الفرائضِ والنَّوافِلِ؛ لِيُراعِيَ المسلمُ حُقوقَ غيرِه عليه.

٢- وفيـه: الزَّجـرُ عن التَّشـديدِ على النَّفْسِ في العِبـاداتِ بمـا لا تُطيقُ.

٣- وفيه: بيانُ ما كان عليه الصَّحابةُ مِن حرصٍ على العِبادةِ وهِمَّةٍ عاليةٍ في التقرُّبِ إلى اللهِ ¸.

٤- وفيه أن رسول الله ‘ جاء بشـريعة سـمحة معتدلـة ليس فيهـا إفراط أو تكلف، وأن من أفرط وتكلف فليس على هَـدْي رسـول الله ‘.

الحديث الأربعون

أولًا: نص الحديث

إن رَسولَ اللَّهِ ' جَلَسَ علَى المِنْبَرِ فقالَ: إنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيا ما شاءَ، وبيْنَ ما عِنْدَهُ، فاخْتارَ ما عِنْدَهُ. فَبَكَى أبو بَكْرٍ وقالَ: فَدَيْناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا، فَعَجِبْنا له، وقالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إلى هذا الشَّيْخِ؛ يُخْبِرُ رَسولُ اللَّهِ ' عن عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللَّهُ بيْنَ أنْ يُؤْتِيَهُ مِن زَهْرَةِ الدُّنْيا، وبيْنَ ما عِنْدَهُ، وهو يقولُ: فَدَيْناكَ بآبائِنا وأُمَّهاتِنا! فَكانَ رَسولُ اللَّهِ ' هو المُخَيَّرَ، وكانَ أبو بَكْرٍ هو أعْلَمَنا به. وقالَ رَسولُ اللَّهِ ': إنَّ مِن أمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحْبَتِهِ ومالِهِ أبا بَكْرٍ، ولو كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِن أُمَّتي لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ، إلَّا خُلَّةَ الإسْلامِ، لا يَبْقَيَنَّ في المَسْجِدِ خَوْخَةٌ إلَّا خَوْخَةُ أبِي بَكْرٍ.

ثانيًا: تخريج الحديث

أخرجه البخاري في صحيحه، قال:

3904 - حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي النَّضْرِ، مَوْلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ عُبَيْدٍ يَعْنِي ابْنَ حُنَيْنٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: «إِنَّ عبدا خيره اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ» الحديث.

ثالثًا: شرح معاني الحديث

كان أبو بَكرٍ ¢ أقرَبَ النَّاسِ إلى النَّبيِّ ‘؛ فهو رَفيقُـه في هِجرَتِـه، وهو أعظَمُ هذه الأُمَّةِ إيمانًا وتَصْديقًا، بحيث لو وُزِنَ إيمانُه بإيمـانِ النَّاسِ كلِّهم، لرجَحَ إيمانُه بإيمانِهم.

وفي هذا الحَـديثِ يُخبِـرُ أبـو سَـعيدٍ الخُـدْريُّ ¢ أنَّ رَسـولَ اللـهِ ‘ جلَسَ على المِنبَرِ في مرَضِـه الأخـيرِ الَّذي مـات فيـه، وذلـك في العامِ الحادي عشر مِن الهِجْرةِ بالمَدينةِ المُنوَّرةِ، فقال: «إنَّ عَبدًا خَيَّره اللـهُ بيْن أنْ يُؤْتِيَـه مِن زَهـرةِ الـدُّنْيا مـا شـاء»، والمَعـنى: يُعْطيه مِقْدارَ ما أرادَ مِن طُولِ العُمـرِ والبَقـاءِ في الـدُّنْيا، والتَّمتُّع بهـا، وزَهـرةُ الـدُّنيا: نَعِيمُهـا وزِينَتُهـا، «وبيْن مـا عِنـدَه، فاخْتـارَ مـا عندَه»، أي: اختارَ وفضَّلَ ما عنـدَ اللـهِ سُـبحانَه، ممَّا أعـدَّ لـه مِن أنْواعِ النَّعيمِ المُقيمِ، ولذَّةِ اللِّقاءِ، والنَّظَرِ إلى وَجْهِـه الكَـريمِ، فلمَّا سَمِع أبو بَكرٍ ¢ ذلك القَولَ مِن النَّبيِّ ‘ بَكى، وقال: فدَيْناكَ بآبائِنـا وأُمَّهاتِنـا! فتَعجَّبَ الحاضِـرونَ مِن قَـولِ أبي بَكـرٍ ¢ وبُكائِه؛ إذ لم يَفْهَموا مِن كَلامِ النَّبيِّ ‘ ما يَستَدْعي ذلـك البُكـاءَ والقَـولَ مِن أبي بَكرٍ ¢، ولكنَّ الصِّدِّيقَ ¢ قدْ فهِمَ مِن هذا الكَلامِ مُفارَقَتَه ‘ الـدُّنْيا، وأنَّ العَبدَ المُخيَّرَ هو رَسولُ اللهِ ‘، فبَكى لذلك، وقال ما قال.

فلمَّا مات النَّبيُّ ‘، فهِمَ النَّاسُ مَقصِـدَه ‘ مِن كَلامِـه؛ ولـذلك قـال أبو سَعيدٍ الخُدْريُّ ¢: «فكان رَسولُ اللـهِ ‘ هـو المُخيَّرَ»، أي: هـو الَّذي خَيَّره اللهُ بيْن نَعيمِ الدُّنْيا وبيْن لِقائِه، وكان أبـو بَكـرٍ ¢ أعلَمَ النَّاسِ بالنَّبيِّ ‘.

وقـد قـال ‘ في حـقِّ أبي بَكـرٍ ¢: «إنَّ مِن أمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ في صُحبَتِه ومالِه أبـا بَكْـرٍ»، ومَعْنـاه: أنَّه أكثَـرُهم جُـودًا وسَـماحةً لنـا بنفْسِه ومالِه، وليس هو مِن المَنِّ الَّذي هو الاعْتِدادُ بالصَّنيعةِ؛ لأنَّه أذًى مُبطِـلٌ للثَّوابِ، ولأنَّ المِنَّةَ للـهِ ولرَسـولِه ‘ في قَبـولِ ذلـك، وفي غـيرِه. وقـال «ولـو كُنتُ مُتَّخِـذًا خَليلًا مِن أُمَّتي لَاتَّخَـذْتُ أبـا بَكرٍ، إلَّا خُلَّةَ الإسْـلامِ»، والمَعـنى: لـو كُنتُ مُتَّخِـذًا صَـديقًا أنقطِـعُ إليه، وأُفرِّغُ قَلْبي لمَودَّتِـه، لاتَّخَـذْتُ أبـا بَكـرٍ. وقيـلَ: أصْـلُ الخُلَّةِ: الافْتِقارُ والانْقِطاعُ، فخَليلُ اللهِ: المُنقَطِعُ إليه، وقيـلَ: لأنَّه ‘ قَصَـرَ

حاجَتَــه على اللــهِ تعــالَى، وقيــلَ: الخُلَّةُ: الاخْتِصــاصُ، وقيــلَ: الاصْطِفاءُ، والنَّبيُّ ‘ ليس له خَليلٌ؛ لأنَّ اللهَ تعالَى قدِ اتَّخَذَه خَليلًا، وهذا لا يُنافي ما ذكَرَه الصَّـحابةُ € مِن اتِّخـاذِهم إيَّاه ‘ خَليلًا؛ إذ لا يُشترَطُ في الخُلَّةِ أنْ تكونَ مِن الطَّرَفَينِ، ولوِ اتَّخَـذَ النَّبيُّ ‘ أحَـدًا خَليلًا لَاتَّخَـذَ أبـا بَكـرٍ ¢؛ لأنَّه أهـلٌ لـذلك لـولا المـانِعُ؛ فـإنَّ خُلَّةَ الرَّحمَنِ تعالَى لا تسَعُ مُخالَّةَ شَيءٍ غَيرِه أصْلًا، ولم يكُنْ بيْن النَّبيِّ ‘ وبيْنه ¢ إلَّا أُخوَّةُ الإسْلامِ.

وقــال ‘: «لا يَبقَيَنَّ في المَســجِدِ خَوْخــةٌ إلَّا خَوْخــةُ أبي بَكــرٍ»، والخَوْخةُ: البـابُ الصَّـغيرُ، وكـان بعضُ الصَّـحابةِ فَتَحـوا أبْوابًا في دِيارِهم إلى المَسجِدِ، فأمَرَ النَّبيُّ ‘ بسَـدِّها كلِّهـا إلَّا بـابَ أبي بَكـرٍ ¢؛ ليَتميَّزَ بذلك فَضلُه.

رابعًا: توجيهات الحديث

١- في الحَديثِ: مَنقَبةٌ عَظيمةٌ لأبي بَكرٍ ¢.

٢- وفيه: تَعْريضٌ بالخِلافةِ لأبي بَكرٍ بعْدَ النَّبيِّ ‘.

٣- وفيه: أنَّ المَسـاجِدَ تُصـانُ عن تَطـرُّقِ النَّاسِ إليهـا، إلَّا لحاجـةٍ مُهِمَّةٍ.

٤- وفيه: التَّرغيبُ في اختيارِ ما في الآخِرةِ على ما في الدُّنيا.

٥- وفيه: شُكرُ المحسِنِ، والتَّنويهُ بفضْلِه، والثَّناءُ عليه.

٦- وفيه كرامة رسـول الله ‘ على ربـه سـبحانه، وأنـه يخيره في الموت والحياة، ورسول الله يختار جوار ربه ¸.

الخاتمة

الحمد لله الــذي أكرمنا بمعرفة ســيدنا محمــدٍ صــلى الله عليه وسـلم، خـاتم النبـيين وإمـام المرسـلين، وجعل في سـنته النـور والهدايــة، وفي أقواله وأعماله القــدوة الحســنة. وقد اجتهد هــذا الكتاب في جمع أربعين حديثًا شريفًا عرَّف فيها النـبي صـلى الله عليه وســلم بنفسه: أســماءً وصــفاتٍ وأعمــالاً ومحبوبــاتٍ

ومكروهات، ليكون المسلم على صلةٍ أوثق بشخصيته العظيمة، فيزداد له حبًّا واتباعًا واقتداءً.

إن معرفة شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ليست ترفًا معرفيًا، بل هي واجب إيماني عظيم، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21]. فكلما ازداد العبد علمًا بهديه وأخلاقه وسيرته وأحاديثه، ازداد حبه له، واشتد حرصه على التأسي بسنته، ووجد في اتباعه السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

ومن هنا، فإن مسؤوليتنا لا تقف عند مجرد القراءة، بل تمتد إلى نشر سنة النبي صلى الله عليه وسلم بين الناس، وتعليمها للأجيال، والدعوة إليها بالحكمة والموعظة الحسنة، لتظل سيرته العطرة منارةً للأمة، وحصنًا من الضلال والانحراف.

نسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، نافعًا لكاتبه وقارئه، وأن يرزقنا حب نبيه صلى الله عليه وسلم واتباع هديه، وأن يحشرنا جميعًا في زمرته وتحت لوائه، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله